زيارة السيد المرحوم

رواية

جيهان جمال

٢٠١٧

الناشر

www.darelnokhba.com

رئيس مجلس الإدارة
أسامة إبراهيم

المدير التنفيذى
سماح الجمال

المدير الفني
أحمد جابر

تصميم الغلاف
أحمد صادق

التصميم الداخلى
وليد محمد

دار النخبة
للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال – المجاورة الأولى
– الحي الأول – مدينة الشيخ زايد –
الجيزة – مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ – ٠٠٢٠٢
٠١٢٨٨٦٨٨٧٥ – ٠٠٢
E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى
1438 هـ - 2017 م
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
2017 - 10007
ISBN: 978 - 977 - 6580 - 67 - 1

إهداء

إلى روح أبي وأمي...

طيب الله ثراكم، وذكراكم .

١
لى حبيب...

شتاء٢٠٠٥... ليلة من ليالى يناير الباردة...

تشى للمساء بعزف مرتعش المشاعر، وإن بدا هادئ النغمات، تتحرك "سوزى" بين أروقة بيتها الكبير، وهى تتدثر بشالها الصوف الأسود ذي الخطوط الذهبية التي تضئ بعضًا من قتامة أوقاتها... تَيلفّها ويطويها بحنان... لتجاور حدود نجوم السماء، فيُنسيها أنّها مطوّقة بصدى تلك الذكريات التى حاولت كثيرًا الهروب منها لكنها ما استطاعت الفكاك وسط هذا البيت الكبير، بيتها الكبير هذا يشبه تلك المطارح الفسيحة بقلوب الطيبين من عباد الله، تلك القلوب التي اتسعت بفيض رحمته لتملأ الأرض بفيض إنسانيتها، سعيدٌ أنت حين تحن عليك الأيام، وتعيش ولو للحظات في رحاب التجلي معه... لتغرقا سويًا وسط هذا الشلال الهادر بفيض المحبة، تلك المحبّة التي لا ينضب لها معين أبدًا مهما بالغت السنوات في قحط أيامها ولياليها.

عاملة المنزل "سُعاد" تأتيها وهى واقفة شاردة خلف الستائر الحريرية التي كانت تداعب نافذتها.

فتنتبه "سوزى" لصوت "سعاد"، سعاد تعطيها الموبايل وتقول:

– اتفضلى يا أستاذة، واحد بيقول إنه بيتكلم من السعودية.

تمسك "سوزى" ملهوفة بال "موبايل"، لتفاجأ بصوت رجُل أجَش.

سوزى: مين معايا يافندم؟

الرجُل: حضرتك حرم الأستاذ "رفيق"؟

سوزى:أيوة، مين حضرتك ؟

الرجُل: أنا "راشد" شريك زوجك "رفيق" بالسعودية.

سوزى: أهلا بحضرتك... خير؟

راشد: أهلا بك يا هانم خير، خير إن شاء الله، يؤسفنى أبلغك يا هانم إن الأستاذ رفيق حصل له حادث سير.

سوزى ينقبض قلبُهاو يتوه صوتُها وسط متاهة الفضاء الفسيح الذي تركها به"رفيق" وحيدة منذ البدايات، لتخرج نبراته خائفة... مرتعشة، وتقول:

– إزاى ده حصل؟ وإمتى؟ من فضلك فهمنى؟

راشد: قضاء الله وقدره يا هانم، إهدى شوي لو سمحتى عشان تقدرى تتحملى معاه.

سوزى: أتحمل ايه؟ أنا مش فاهمة حاجة، ممكن أكلّم "رفيق"؟

راشد: للأسف ما يقدر رفيق يتكلم... انقلبت بيه السيارة... وكان بين الحياة والموت، وربنا قدّر ولطف يا هانم... إهدى شوي.

راشد يريد أن يتخلّص من الموقف سريعًا، وقبل أن تفيق من الصدمة يلاحقها، ويقول:

– أنا حاضر معه من السعودية لعندكم بمدينة "طنطا" بالقاهرة بعد ثلاثة أيام، وسأبلغك بموعد وساعة الوصول.

ثم يردد فى عجلة من أمره:

– بإذن الله... بإذن الله.

ويسارع قبل أى رد منها:

– السلام عليكم يا هانم... شدى حيلك .

مُغلقًا هاتفه الجوال.

تقف شاردة... و"الموبايل" فى يدها... لتأخذها الحيرة، وترمى بها على طرقات مجهولة العناوين... شريدة تائهة، تلك المكالمة نزلت على رأسها كالصاعقة، تحاول أن تتماسك، وتطلب "رفيق"، لعلها تسمع صوته، أو تفهم منه أى شيء!

لكن محاولاتها تبوء بالفشل... "موبايل رفيق" مُغلق... تحتار أكثر، وتجرى مُسرعة إلى حجرة ابنتيها... وهما نائمتان في مخدعيهن

كالملائكة... تقبلهما، وتتركهما نائمتين في سلام .

ثم تتلقفها حيرتها مرة أخرى... وتحاول ثانيةً الاتصال "برفيق"، دون جدوى، لتهوى مع العديد من التساؤلات عند تلك الطرقات مجهولة الإجابات، ويدور برأسها سؤال واحد:

"كيف ستخبر البنات بما حدث لأبيهم؟"

فتجد نفسها تائهة، تجوب وتجوب بين أروقة المنزل حتى أوقفتها قدماها التي كانت قد أذلقتهم فى هذا الجورب الذى صنعته بأناملها الرقيقة بخيوط من الصوف الأحمر، ليحتضنه هذا الخُف المصنوع هو الآخر من القطيفة الناعمة الحمراء، ليختصاها بالدفء، ولا يشعراها فى تلك الأمسيات الباردة بصقيع الأوقات.

على أطراف حديقتها المثمرة بفضل رعايتها وحنانها على كل نبتة حية بها، تتطلع بعينيها السارحتين دومًا فى ملكوته إلى تلك القباب المضاءة، والتى تعلو هذا المسجد الكبير، تلك القباب التى أتقنتها يد فنان فى زمن "على بك الكبير" بعدما أراد التوسع لهذا المسجد، الذى كان بالبدايات مجرد ساحة كبيرة بجوار قبر ذاك العابد من عباد الله، والذى صار قبره مع الأيام مزارًا يريح كثيرا من القلوب التى أضنتها قسوة البشر، إنه مقام العارف بالله "السيد إبراهيم البدوى" والذى تحول لزاوية للمريدين، تلك الزاوية هي التى بُنى عليها المسجد، والتى

تشدها دومًا حين تذهب عند خلوته النحاسية، التى بنيت حول الضريح... لتبوح وتبوح، هناك عند تلك الخلوة بما تعجز أن تبوح به لبشر، وكأن هذا المكان كان هدية السماء لها ببدايات زواجها من "رفيق"، ليصبح هذا المكان هو العوض عن صُحبة الأهل والأصدقاء.

شيئًا فشيئًا، صارت من المريدين، بل ومن أهل مدينة "طنطا"، بعدما كانت مجرد زوجة، أتى بها أحد أبناء تلك المدينة الطيبة من مدينتها بالإسكندرية، هذا الزواج الذى كان قد رتّب له القدر من خلال التقاء القسمة مع النصيب في إحدى حفلات زفاف بنات عائلتها، حين كانت آنذاك طالبة تكاد تنهى دراستها الثانوية.

يزداد شرود "سوزى" مع صحبة الذكريات، وهى تطيل النظر إلى السماء التى تلألأت بالنجوم، وصاحبت القمر، لتضئ قلبها بنور المحبة، طالبة العون والرجاء بأن يلطف بها الله مع القادم من الأيام، فيهفو قلبها مستشعرًا دفء المحبة، ويردد أروع كلمات شاعر المتصوفين "الحلاج":

لى حبيب أزور فى الخلواتِ
حاضر...غائب عن اللحظاتِ
ما ترانى أصغى إليه بسرىِ
كى أعي ما يقول من الكلماتِ

كلمات من غير شكل ولا نطقِ
ولا مثل نغمة الأصوات
فكأني مخاطب كنت إياه
على خاطري بذاتي لذاتي
حاضر... غائب... قريب... بعيد
وهو لم تحوه رسوم الصفاتِ
هو أدنى من الضمير إلى الوهمِ
وأخفى من لائحِ الخطراتِ.

٢
لعبة الأيام

تذهب «سعاد» إليها قائلة:

– أستاذة... محروجة منك قوى... شدي حيلك... المفروض أكون جنبك الليلة... فى الظروف دى، بس انتى عارفة ظروفى وظروف البنات.

سوزى: لا «ياسعاد» كتر خيرك، روّحي... اتأخرتى على البنات.

ثم تأخذ «سعاد» طفلها فى يدها، وَتهم بالرحيل، بعدما ودعت الأستاذة، تسير «سوزى» على مهل، وها هي قد أغلقت باب بيتها عليها وعلى بناتها، لتقف قليلًا مستندةً على باب الشقة، ومطأطئة جبهتها ناحية يديها التي كانت أطبقتهما على مفاتيح الشقة، دون أن تشعر بوجع... لتتدلى رأسُها كتلك المفاتيح المترنحة من هذه السلسلة المعلقة بكالون الشقة، لحظات وتدرك أن يديها

تؤلمانها، لأنها أطبقت المفاتيح عليهما بشدة، ثم تَهم بنزع يديها، وترفعهما باتجاه شعرها الأسود، الذي كان منسابًا على وجهها، وتطرحه للخلف، بعدما رفعت رأسها وسارت تجوب بالبيت، تحاول أن تبدو متماسكة إلى حد ما، قبل أن تتهاوى.

ثم تغمض عينيها الزائغتين هنا وهناك بيديها لبرهة من الوقت، عَلها ترتاح، بعدما أرهقها خبر حادث رفيق، تلك العيون السوداء البراقة التي كانت تجذب كل من يرى وجهها الصبوح، لكم تمرغ بريقها الآن في ليالي الحزن الطويلة التي أسكنها إياها «رفيق»، وكم عانت في كل ليلة وهى تمسك بتلك الدمعات التي كم اختنقت، وهى تتخفّى بعيدًا خلف مآقيها، كي لا تراها أعين البنات .

تحتاج «سوزى» بشدة في هذه اللحظة بالذات أن تترك لدمع عينيها الحُرية التي تمناها، وأرادها من زمن بعيد، كي ينساب رقراقًا على خديها، فيطول جريانه، و تطيل هي معه الوقوف وسط البيت الفسيح، وكأنها لا تعرف أين المسير من بعد تلك الخطوة.

يمر بعض من الوقت، وهى على هذا الحال، ثم تفيق لتتأرجح خطواتها مابين أروقة البيت الفسيح، هذا البيت الذي كان منذ سنوات مجرد شقة واسعة عادية جدًا في دور أرضى بإحدى العمارات العريقة، والمجاورة لمسجد «السيد البدوي».

تعود بها الذكريات لتلك البدايات التي اعتنت فيها بِكُل تفاصيل هذا البيت، حتى صار هو العائلة، والأصدقاء، وتِلك المتنزهات والأُمسيات التي افتقدتها كثيرا، وبخاصة بعد وفاة والديها، ومن ثمّ بُعدها نهائيًا عن مدينتها الأم: «الإسكندرية»، لم تكن تتخيل يومًا أنها ستبعد عن «الإسكندرية» هكذا، وهى التي كم تمنت ألّا تتركها حتى من بعد زواجها، مُتمنيةً أن تُكمل دراستها الجامعية في كُلية «الفنون الجميلة»، لكن ظروف زواجها حالت دون ذلك، فصارت سلوتها الوحيدة مع الأيام، تلك الزيارات القصيرة والمتباعدة الخاطفة التي كانت تقضيها لزيارة أهلها، تلك الزيارات التي كانت تُشبع فيها هوايتها، وعشقها للأنتيك وفنون العمارة والديكور والرسم، في التجوال بالمدينة وحضور المزادات الخاصة باقتناء الأنتيك والتحف واللوحات الزيتية.

مازالت تمسك بأطراف البدايات وهى تخطو خطوات هادئة بالبيت، لتصل إلى الصالون وتجلس على هذا الكرسي الأنيق، الذي كانت قد اشترته مع «البيانو» من أحد المزادات التى كانت ترتادها بالإسكندرية، وشجعها على ذلك، أنها لمست شغف ابنته» سارة» بالموسيقى آنذاك، فراحت تشجعها بتعلم الموسيقى في المدرسة، لأن إمكانياتها لم تكن تسمح بأكثر من ذلك في هذا التوقيت وشاركت

«سارة» بالحفلات المدرسية، وحصدت الكثير من الجوائز الموسيقية، و»سُهى» أيضا شاركتها حُب الموسيقى وأتقنت فنون الرسم، «سارة» و»سهى»، اسمان كانت قد اختارتهما «سوزي» وحدها، رفيق لا ينشغل بتلك الأمور، تشبهان أُمهما إلي حدٍ كبير...

فهما بنفس نظرة العيون التي ترى فيهما فرحةً ما، لكنها انزوت على استحياء بفعل مرارة الأيام، ينساب شعرهما بحُرية ما بين انكسارات الأيام واستقامتها، وكأنه يتموج في بحور هادرة بالحياة.

اكتسبت «سارة» من أبيها بعضًا من جمود شحيح، تُظهره أحيانًا بعض المناسبات العائلية التي تحتاجهم معا.

فتجدها بعيدة عن المشاركة إلى حد ما في بادئ الأمر، لكنها سرعان ما تتراجع عن جمودها هذا، وتَحِن!

أما «سوزى» فتعذرها أحيانًا، وتلوم نفسها أحيانًا أخرى، لأنها تظن أنه بزواجها من «رفيق» قد ألزمت «سارة» ببعض من تفاصيل سخيفة فرضتها عليها جينات ورثتها عن والدها رغمًا عنها.

أما «سُهى» فهي تُشبه «سوزى» قبلما تلتقي «رفيق» فى تصرفات كثيرة، فتجدها خفيفة الظل... صبوحة الضحكة... متفوقة في دراستها، وعاشقة للرسم.

لا تعرف من الدنيا سوى أسرتها وصديقتيها، هما أمها وأختها

سارة... أحسنت أمهما تربيتهما، بتوفيق من الله لها...

فاشتدّ عودهما بتلك العلاقة الصادقة بينهن وبين أمهما.

تشعر «سوزى» بعطش شديد، فتترك الصالون وتذهب إلى المطبخ... لتتناول كوبًا من الماء.

تطل بعيونها على الحديقة قبلما تغلق ضوءها الخافت.

كانت الحديقة كالمنزل، مجرد قطعة من الأرض فسيحة جرداء عندما أتت «سوزى» هذا البيت، وكيف لها صارت مع الأيام هذه الحديقة المثمرة الغنّاء؟!

تغلق إضاءة المطبخ أيضًا، وتخرج منه ذاهبة إلى حجرة المعيشة.

تفتح التلفاز، علها تنسى بعض ما حدث هذه الليلة.

تخفض صوته، فهي لا تريد سماع أيّ شيء.

هي لا تريد سوى أن تشعر بالونس المفتقد، وبخاصةً في تلك الليلة.

تجوب الغرفة، وتتحسس بعضًا من تابلوهات زيتية كانت قد اقتنتها على مدار سنوات، لرسامين مغمورين.

فقد كانت بأثمان زهيدة وقتها، لكنها كانت ذوات قيمة عالية، هى تدركها... وضعتها بكل ركن بالبيت بالشكل المناسب، وليس غرفة المعيشة فقط .

تضحك وتظهر على وجهها علامات ارتياح، وكأنها قد خرجت لنزهة بين هذه المقتنيات الغالية جدًا على نفسِها.

ثم تَنظر لتلك الأشغال من التحف المنمّقة بالنحاس والفضة اليدوية، والتي كانت قد اشترتهم على مدار سنوات.

كانت تضعهم قطعة قطعة، ليضمهم قلبها على هذه الطاولة التي كثيرًا ما اجتمعوا حولها، هي و رفيق... بتواجده الظاهري معها والبنات، يحتسون المشروبات الدافئة والباردة صيفًا و شتاءً...

كذلك قد اقتنت التحف والقازات، التى كانت قد نثرتهم بالشقة هنا وهناك.

فَكُل شيء كانت تعرف أين موضعه المناسب...

تلك المفارش الحريرية... كهذا المفرش الموضوع بأناقة على طاولة الطعام، أو ذاك الموضوع على تِلْك الطاولة التي تضم صورهم جميعا.

مفرش سريرها الحريري... والذي كان الشيء الوحيد الذي يُشعرها أنها لم تَزل إنسانًا يُشِعّ، ويستشعر جمال الحياة... حتى لو بأبسط الأشياء.

كانت تذهب تلك المزادات أو المحلات الخاصة بالطبقة المتوسطة... إذ لم يَكُن يستهويها حُضور مزادات عِلية القوم، لأنها ليست منهم... ولن تكون.

وكانت تِلْك هى هوايتها التي ظهرت جلية قبل الزواج مُباشرة على الرغم من صغر عمرها آنذاك، لاقتناء ما يَروق لها، أيام الإعداد لشقة الزوجية أو بعد ذلك، أثناء تِلْك السّفرات التي كانت تزور فيها أمها وأبيها مابين الحين و الحين... فيسبغان عليها بعضًا من مال، لعلمهم ببخل زوجها، وكثيرًا من دفء المحبة الذي كانت تفتقده أيضًا معه.

كانت تعلم أنّ تِلْك الأسفار لم تَكُن تروق ل «رفيق»، لكنها كانت لا تستوقفهَا تِلْك الصغائر.

فكانت تَظل مُنتظرة بالأيام... حتى يسمح لها أن تنال شَرف موافقته على السفر لزيارة أهلها .

وأحيانا كان لا يوافق... لتبقى ولا تسافر.

على الرغم من أنها لم تكن تثقل عليه، أو تحمله أيَّ أعباء مادية سوى بعض مصروفات البنات البسيطة والضرورية جدا، والتي كان يقطرها على مضض أيضًا.

ظلّ هذا الوضع لسنوات قليلة بعد زواجها، وسنوات أقل بعد وفاة والديها.

إذ كانت تستقطع من إرث بسيط من المال كانت قد ورثته عنهم... وأودعته بدفتر التوفير، إلى جانب استقطاعها لجزء من راتبها الشهري لتقتنى تلك الأشياء التي صارت مع الزمن مقتنيات... منذ

أن عينت بالثانوية العامة بمحكمة طنطا، ثم ازدياد راتبها بعد حصولها على ليسانس الحقوق، وتفرغها للعمل بالمحاماة.

إذ كانت تقوم أيضًا بالصرف على الدراسة من خلال الجمعيات التي كانت تشترك فيها مع زملائها بالعمل.

ثم توقفت عن السفر إلى الإسكندرية، لأنها ما شعرت بصدر حنون وسط أخوتها سيحتويها مثل والديها.

تقف عند تلك الأيام وتتذكر إحدى الليالي، وقد حضر من عمله متأخرًا... ليجدها واقفة تعلق هذا التابلوه الرائع بحجرة نومهما.

لامرأة تجلس على الأرض... مطأطئة الرأس؛ ويغطى شعرُها ملامحَها، و لا يظهر منها سوى ذراعيها الملفوفتين على قدميها.

وإذا به يصرخ في وجهها دون مقدمات... بعدما فتح عليها الباب ودخل الشقة دون أن تشعر به، ليقول:

- إيه ده؟!

إنتى ست ماعندكيش دم ولا إحساس.

حرام عليكى الفلوس اللى بتلزّق على الحيطان.

سوزى تفزعها صرخته، وصوته العالي.

ثم تنظر إليه في حسرة، وتقول بهدوء معتاد:

- مساء الخير يا رفيق...

طيب قول لنا حمد الله على السلامة.

رفيق: بلا حمد الله على السلامة... بلا نيلة.

و يغير ملابسه مسرعًا إلى الليڤنج روم فاتحًا التلفاز.

ويقول بأعلى صوته:

- حضّرى العشا يا هانم.

سوزى تتعجب من تصرفات هذا الرجل وتستقبلها باندهاشة... تحاول أن تتماسك... وتخشى أن تخذلها قدماها، ولا تستطيع أن تكمل المسير حتى مخدعها.

و ها هي بصعوبة بالغة وقبل أن تصل إلى مخدعها تقف أمام المرآة... و لا تعرف لماذا تقف الآن أمام المرآة؟

فتراه...

ترى «رفيق» وترى خصلات شعرها التي بدأت أولى خطوات المشيب تدب فيها، وكأنّ يد «رفيق» قد أمسكت بتلك الخصلة البيضاء... لينال منها، ويستهزئ بها كما كان يفعل.

ويقول: كبرتى يا سوزى.

تنظر إليه «سوزى»باندهاش.

رفيق: على فكرة بتكلم جد... شوفي وشك عجّز إزاي!

سوزى و كأنها لم تسمع منه شيئًا، تضحك ساخرةً فى هدوء...

فيستشيط غيظا، ويقول:

– ياهانم انتى خلاص، عندك ٣٠ سنة .

سوزى تضحك ساخرة منه أكثر، ثم تغفو لجواره تجترّ أحزانًا فاض بها كيل ليالى عشرته السقيمة.

تفيق من غيم ذكرياته الثقيلة، لتتحسس وجهها بأناملها الرقيقة أمام المرآة... لتخبرها عيناها أن تعود لنفسها قبل أن يزحف الشيب الحقيقي وتشيخ أيامها!

تذهب لسريرها، وتحاول جاهدةً أن تغمض عينيها في تلك الليلة المليئة بالأحداث المثيرة دون جدوى.

وكيف لها أن تطاوعها عيناها وتغفو، بعدما صارت أحزانها تفيض على عتبات أبواب لياليها، فتؤرقها... لتسلب تلك العيون النوم ؟!

أذان الفجر...

تقوم؛ وتنفض عنها غيوم الذكريات.

ليطيب خاطرها، ويؤنسها صوت المؤذن .

تتهيأ لتتوضأ... ثم تصلى، وتتضرع بالدعاء.

ثم تهدأ... وتتهيأ للنوم.

٣
مولاي

صباح جديد... تتهافت فيه شمس صباح يناير للمكوث على نافذة حجرة نوم «سوزى».

فتزورها ببعض دفء مُفتقد... وتخبرها أنه مازال في العُمر ما يستحق البقاء... تفيق على تلك الشفاه البريئة تهديها كثيرًا من القُبل.

تفتح عينيها عليهما... فتجدهما وقد مكثتا كل واحدة بجوارها من ناحية، لتداعبانها وتحتضناها .

سُهى تداعبها بضحكاتها البريئة، وتهمس بصوتها الرقيق

- صح النوم يا جميل.

إيه الكسل ده كله يا ست مامى؟

سارة:

– حقيقى يا مامى، نمتى كتير جدا.

ما تعودناش منك على كده.

فين الهمة والنشاط يا بنات هههههههه.

سُهى:

– فين الفطار والذى منه، يابنات هههههههه.

سوزى تحاول أن تلملم شتات نفسها... فتضحك ضحكة مصطنعة وتحتضنهما، كي تطمئن.

تكتشفها «سارة» وتشعر أن بأمها شيئًا ما، لكنها تلتزم الصمت.

سوزى:

– حالًا الفطار هايكون جاهز.

سعاد فين؟!

سُهى:

– لاا... احنا قلنا «لسعاد» الفطار النهاردة من إيدين مامى هى وعدتنا آخر يوم فى الأجازة تحضر لنا الفطار.

سوزى:

– فعلا يا حبيبتى... حاضر... حالًا الفطار هايكون جاهز.

أجازة نصف العام الدراسي الخاصة بالبنات تنتهي اليوم، وبداية يوم دراسى جديد غدًا.

تنهض «سوزى» من السرير.

ثم تأخذ حمامً دافئًا... وترتدى تى شيرت أسود، وبنطلون چينز ثم تدخل المطبخ بعدما رفعت شعرها برباط من الحرير الأسود.

سُهى: إيه الحلاوة دى يا أستاذة؟ هههههه.

سارة: مامتنا جميلة يا غلباوية... تعالى نساعدها يا بكّاشة هههههههه.

سارة تساعد والدتها مع «سُهى» وتضعان طعام الفطورعلى طاولة المطبخ، بينما تقوم «سعاد» بعمل الشاي مع الحليب.

سُهى تفاجأ أمها و تقول:

– ليه يا مامى بابى بيتأخر فى السؤال عننا بالشكل ده؟! أجازة نص السنة بتخلص، مافكرش مرة يسأل علينا.

يقع الكوب من يد «سعاد» معبرًا عن قلق «سعاد» على الأستاذة خاصة بعد حضورها مكالمة الأمس.

تحاول «سوزى» أن تظهر هادئة وتقول:

– معلش يا»سعاد»... ولا يهمك... فداكى ياستى

تعتذر «سعاد» وتحاول أن تلملم ما انكسر.

سُهى مستمتعة بفطور أمها الشهي، لكنها ما نسيت السؤال الذي تنتظر إجابته!

وتقول:

– يا مامى بابى ليه كده؟!

سوزى: يا حبيبتى «بابى» مطّمن عليكم، وهو ما بيفضاش فعلًا.

سارة: يعنى ايه يا مامى مش فاضى يسأل علينا غير كل شهرين تلاتة مرة؟!

يامامى.. .بابى ما نزلش مصر من سنتين.

سوزى تحاول أن تمسك بكوب الشاي، وتكمل الدور الذي تلعبه بجدارة... وتحتضنهم بعيونها، لتختصّهم دائمًا بأولوياتها، ثم تحاول بعد انتهائهم من الفطور أن تلملم شتات أمرها.

تخرج إلى «الليڤينج روم»...

تحاول أن تهدأ مع فنجان قهوتها الذي أحضرته لها «سعاد» تاركة البنات بالمطبخ.

تنتهي من قهوتها... وتخرج إليها البنتان من المطبخ.

تحكى كل واحدة معها عن طبق الفول بزيت الزيتون والبيض الأُمليت الذي لا تستطيع أي أم أن تقوم بعمله كأمهما.

فتطبع «سوزى» على جبينهما القبلات الدافئة التى تُطَمْئن قلبيهما البريئين.

ثم تطلب منهما الجلوس لأنها تريد أن تخبرهما بأمرٍ هام.

تستجيب البنتان، وتجلسان حول الطاولة تتناولان الشاي بالحليب،

وسوزى تشرح للبنات بمنتهى الهدوء ما حدث بالأمس... مخفّفة

من قدر الوضع الصحي لوالدهما قدر الإمكان.

محاولة التخفيف من وقع الخبر المؤلم على البنتين، وتأهيلهما نفسيًا لتلك اللحظة التي ستستقبلان فيها والدهما.

لم تتمالك البنتان نفسيهما، وانهارت قواهما لترتمي كل واحدة منهما في حضن أمها.

فتركت «سعاد» ما بيديها بالمطبخ، وحضرت مُسرعة إلى (ليڤنج روم) .

ثم جلست على الأرض تبكى بجوارهما.

بكت «سعاد» بكاءً هيستيريًا، وهى لا تعي إن كانت تبكى على حالهن أم تبكى على حالها.

لتأخذها دموعها حيث أتت إلى هذا البيت منذ سنوات... بعدما أعلنت «الأستاذة» بين زميلاتها في العمل أنها تبحث عمن تساعدها بالمنزل.

فتقدمت إليها «سعاد» إذ أنه بعدما افتتحت «الأستاذة» مكتبًا للمحاماة، وضاق وقتها ما بين العمل بالمحكمة والجري لتلبية طلبات المنزل ومسئولياته... وقيامها وحدها بكل تفاصيل مسئولية الحياة مع البنات.

تعبت... وما عاد لديها القدرة على القيام بكل هذا وحدها.

أما «سعاد» فقد كان زوجها الأول أبو البنات مستهترًا، ومدمنًا للمخدرات.

ظل يمزق فيها كل يوم... تارةً بالتعدّي عليها بالضرب المبرح وتارة بأبشع السباب.

حتى بدت للجميع كقطعة قماش مهلهلة... تمزقت من كل اتجاه... عذبتها الحياة معه، وأوجعها حاجة بناتها لأبسط الأشياء، فخرجت للعمل... وكان نصيبها أن تصبح عاملة ببوفيه محكمة طنطا.

عملت جاهدة قدر إمكانها على تربية بناتها، حتى توفّى زوجها بعد سنوات قلائل بجرعة مخدّر زائدة.

فظنت أنها سترتاح، ليتقدّم من بعده للزواج منها ابن خالتها فتوافق على أمل أنه سيشعر بها... ويكمل معها المسيرة ويشاركها أعباء الحياة.

فخذلها هو الآخر بعدما أنجبت منه الولد... ووفّرت له عمل معها ببوفيه المحكمة، بعدما ترك عمله باليومية.

وشيئًا فشيئًا، صار عبئًا زائدًا عليها بالبيت.

راح يصول ويجول متنطعًا بين أروقة المحكمة، ودهاليزها ليعاكس العاملات.

فضاقت «سعاد» منه ومن حظها العاثر.

لذا كانت فرصتها الوحيدة بالبعد عن تصرفاته المخجلة حين تركت العمل بالمحكمة كي لا تتأذى مشاعرها.

لتأتى منزل الأستاذة يوميًا من بعد رجوع بناتها من المدارس تاركة لهن طعامهم، ومرتبة لهن كل أمور حياتهم.

ثم تعود إليهن في المساء مع أخيهم الصغير الذي كانت تسمح الأستاذة بتواجده معها.

تفيق «سعاد» من انهيارها بالبكاء.على صوت الأستاذة وهى تقول لها:

– يا سعاد من فضلك ساعديني.

فقامت»سعاد» على الفور تمسح دموعها لتدخل إلى المطبخ، و تقوم بعمل الليمون، لتهدئ من روع البنات.

شكرتها «سوزى» وأخذت تقوي إيمان وعزيمة البنات، وتُشجعهم علي اجتياز تلك المِحنة، وتحدثهم بأنها مِنحة سيختبر بها الله إيمانهم، وتختبر فيها الحياة شجاعتهم .

أصرت البنتان أن تتصلا بأبيهم... فتطمئنهما «سوزى» بأن موبايل والدهما قد حدث به عطل يوم الحادث، ويوم من يوم قريب...

فسيأتي والدهما بعد غد.

يحل المساء...

وتدخل البنات حجرة نومهما.

فغدًا يوم دراسي جديد.

ظلت «سوزى» بجوارهما إلى أن غفت أعينهن ثم أغلقت عليهما باب الحجرة بهدوء.

وخرجت لحجرة الصالون... تحاول الاتصال ب «موبايل» رفيق خلسة لكن دون جدوى!

فهداها تفكيرها أن تتصل على موبايل «راشد» كي تنسق معه موعد وصول «رفيق» والبنات بالمدرسة، كي تستطيع ترتيب الوضع. فيستجيب «راشد».

يحل الليل رافضًا أن يسدل ستائره الحزينة على ذكريات «سوزي» الأليمة مع»رفيق»... لتأخذها الذكريات وتذهب بها عند أول أيام زواجهما.

تحادث نفسها... وتقول» ذكريات يا رفيق ما أقساها علي قلبي، فقليلها كان بخيل السعادة... كثيرها شحيح العطاء، لم أكن أدرك ماهية السعادة التي يمكن أن تكون بين زوجين حبيبين في أول أيام زواجنا... لكنى وجدت الإجابة في بريق عيون زميلاتي بالعمل، فقد أتوني دونما كلام بما يؤكد إحساسي المسبق بك... والذي يؤرقه دومًا نقصان ما فيك، ليؤكد أن السعادة التي كنت تستكثرها علىّ... كانت لا تُشبه سعادتهم أبدًا.

فسعادتي أنا اكتشفتها بنفسي مع مرور الوقت أنها كانت ومازالت

كل ما يسعد بناتي، علي الرغم من أن كثيرًا من أوقاتنا كان غارقًا منك وبك في طعم الأحزان... حين كنت تحاسبنا على كل صغيرة وكبيرة.

ناهيك عن دخولك المنزل يوميًا قبل صلاة الفجر، مترنحًا ما بين سكرة الخمر وسكرة الخيانة، مفوضة أمري لله فيك، ودخولك في صفقات، لا أعلم عنها كزوجة وشريكة لحياتك شيئًا لسنوات متتالية من بعد مرور شهور قليلة على زواجنا، هذا كله لم يَكُن بالغَريب علي زوج جَعل من زَوجته التى من المفترض أنها تُقاسمه الحياة، غَريبةً مدى الحياة... وكأنها متسولة علي طرقات أيامه.

دائما كنت يا «رفيق» زائرًا، لا يحسن طرق الأبواب».

يشدّها صوتُ هذا المنشد الديني الآتي من مسجد السيد البدوي وهو ينشد رائعة الشيخ «النقشبندى «الذي تحب صوته:

مولاي...

إنى ببابك قد بسطت يدي.

من لي ألوذ به... إلاك يا سندي.

مولاي... يا مولاي.

فتستبشر خيرًا.

وتلجأ للسماء تناجى رب كريم.

٤
قل لى جاى ليه؟!
راجع تانى ليه؟!

وها هي أقداره... وكأنها تحالفت ضده وضدها كي يظل لغزًا غبيًا من ألغاز الحياة شديدة التعقيد ليُجهِز عليها تمامًا.

فمُنذ أن استقلآ سَويًا قِطار الحياة، وحتى تِلْك اللحظة ما ذاقت معه طعم الراحة، لِيَكتب عليها وعلي ابنتيه الشقاء، بِتِلك الحادثة المروعة.

رتّبت «سوزى» حجرة ل «رفيق» بجوار (الليفنج روم)، ثم أكملت مع سعاد إعداد الطعام الذي يفضله، بعدما أبلغها راشد بموعد وصولهم في التاسعة صباحا.

فصار كل شيء مُعد بشكل مُناسب، لا يوجع مشاعر بناتها علي أبيهم قدر الإمكان، حين عودتهم من المدرسة.

وبالفعل تمر الأوقات هادئة... ويدق جرس باب الشقة في هذا الصباح الباكِر المتفق عليه، تفتح الباب»سُعاد» ثم تدوي مِنْهَا صَرخَة

عفوية... انطلقت من بين ضلوع صدرها طلقة مُدوية زلزلت أركان البيت الهادئ

سوزى تدور الأرض بها من هول المفاجأة الصادمة، وتطويها اللوعة بَين بَراثِن مَجهُول .

فلم تتمالك نفسها وهى ترى «رفيق» مسكينًا... شريدًا، سجينًا لأنانيته التي أَضرت بجميعهم وأولهم... هو.

راشد شريك رفيق يدخل مُتشحًا بِلبَاسه الخَليجى مُطأطئًا رَأسه الكَبير،

والتي بَدت في عيون «سوزى» ولأول وهلة وكأنها ذاك الصَندوق الأَسود الذى يستعصى فتحه بعد حادث أي طائرة.

تفيق على صوته الأَجَش، وكأن الرحمة ما زارت نبراته يَومًا ما.

رَغم أَنه يُحَاول أن يُظهرغَيرذَلِك... ويَقول:

– أنا بعتذر جدًا، كنت أتمنى نتقابل في ظروف أفضل من الظروف المؤسفة والحزينة لصديقي «رفيق»، لكن هذه أقدار الله... ما باليد حيلة مدام «سُوزى»... لله الأمر من قبل ومن بعد.

سوزى تلتقط أنفاسها المختنقة... وتحاول أن تلملم شتاتها الذائب في كثير من التساؤلات وكثير من الشكوك أيضًا... تلك الشكوك

التى ألميت بها منذ أن وضع هذا الرجُل قدميه بالبيت، وبعدما لمحت نظرة عينيه القاسية، و التي كانت سببًا في عَدم الارتياح لهذا الرَجُل.

ينظر إليها راشد ويقول:

– أنا عارف إنك عايزة تعرفي إيش حصل؟

وإيش سوّى»رفيق» حتى يجرى له ها الحادث؟

سوزي مستسلمة تماماً لما سيرويه «راشد»

حَتى وإن كان كذباً... أو أيًا ما كان، فكما قال هو منذ لحظات «ما باليد حيلة».

يتناول» راشد» الشاي مع «سوزى» في حُجرة الصالون ورفيق يجلس بجوارها علي «كرسيه المتحرك.

ولا عزاء إلا لحالها وحال بناتها !

ثم يسرد «راشد» تفاصيل كثيرة... كُلها تخص وَقت وُقوع الحادثة، و كَيف أن زَوجها كَان مَخموراً وهو يَقود السيارة.

ثم يفرد لها كل الأوراق والمحاضر الخاصة بالواقعة، والتي تُفيد أن «رفيق» كان المتسبب الرئيسي في الحادث وأنه كان وحده بالسيارة.

ثم يشرح لها أنه قَد اتخَذ كل الإجراءات الخاصة للعناية بصديقه «رفيق» في الأيام السابقة، والتي امتدّت لأسبوعين، مفضلًا آنذاك

ألا يخبرها إلّا بعد استقرار حالة «رفيق»، كي لا يزعجها... وصولا إلى تلك اللحظة التي يجلس فيها أمامها... ووصوله منزله بطنطا.

هنا توقفت «سوزى» للحظات، لكنها لم تردّ بأي كلمة .

ثم يسترسل حديثه زاعمًا أنه قد تكفّل بكافة المصاريف، والتي لا يستكثرها أبدًا على صديقه وشريكه الذي كان، قبل عامٍ مضى، لأنه للأسف قد انفضت الشراكة بينهما... نظرًا للخسائر المتوالية التي سببتها رعونة «رفيق».

نسى الرجل أنه يجلس أمام محامية، صارت مع الأيام من أكبر محاميات المدينة.

لكنه ما نسى طبعه، ولا طبيعته القاسية فكان فج المنطق... غليظ المشاعر، فلم يراعى ظروف صديقه الذي لن يستطيع الدفاع عن نفسه... ولم يراعى حالة زوجته النفسية وهى ترى زوجها في هذا المنظر... وهى تستمع لتلك الأحاديث المؤسفة عن زوجها.

وقبل أن تسأل «سوزى» عن نوعية التجارة التي كانت قائمة بينهما، وَتِلْك الأسباب التي أدّت للخسائر، والتي كانت ولازالت لا تدري أيّ شيء عن تفاصيلها، يلاحقها ويُخبرها أنّ»رفيق» كان قد قام بعمل توكيل رسمي له منذ بدء العمل بينهما بالسعودية تحسبًا

لأي ظروف طارئة، وقد حدث فعلاً ماتحسّبه «رفيق».

فقد وقع الحادث قبل أن يُنهي رفيق هذا التوكيل... وهذا ما ساهم بشكل كبير فى إنهاء كُل الإجراءات الخاصة بوصوله منزله الآن.

هنا تنظر «سوزى» للرجل، وتدرك أنه توجد أمور كثيرة أخفاها عنها... وكلها بالتأكيد تورّطه في شيء ما.

لكن أمر هذا الزائر الذي لا يحرك ساكنًا... والذي ظل غريبًا عنها، على الرغم من كونه «رَفيق» حياتها...

هذا المسجون داخل أنانيته منذ أن عرفته، وقبل أن يقبع مسكينًا علي ذلك الكرسيّ المتحرك.

لتعتذر لنفسها التي ما عرفته يوماً... وتعتذر لحياتها، ولأجمل سنوات العُمر التي ضاعت مع رجُل تخيلت أنها سوف تبني معه حَياة.

لكنه للأسف ماتورع أبداً في أن يهدم إحساسها بأجمل ما في تلك الحياة في كُل حِين، حتى هذه اللحظة الماثل فيها أمامها الآن... حين حَل زائرًا مصطحبًا هذا المعوّل الأخيرالذي قَصَم به ظَهر الحَياة بينهما.

ثم تتسائل فى حسرة:

«أهذا هو حقًا كان الرفيق الذي يستحقه العُمر؟»

وقبل أن تنطق دموعها بكل ما تشعُر به الآن، تتماسك أمام الرجُل الغريب الذي كان لوقت قريب أقرب منها إليه.

حيث أنها تشعر الآن بأنه يعلم عن زوجها ما لا تعلمه هي.

لتبقي بالأخير هي الوحيدة التي ستسدد فواتير المسئولية الأُسرية والاجتماعية كاملةً عن «رفيق»، وما قد يطرأ من مُشكلات، تتحسبها هى، ولا يعلمها إلا الله وحده، دون أدني ذنب جنته سوى أنها كانت وما زالت وكما هو مُثبت بالأوراق الرسمية زوجة لهذا الزائر المرحوم.

يهم «راشد» بالانصراف تاركًا لها كُل أرقام تليفوناته ومُراسلاته مع وعد بالوقوف إلى جانبها تحت أية ظروف، وما إلى غير ذلك من كلمات تُقال في مثل تِلْك المواقف.

لكن حين الحاجة غالباً لا تجد أحدًا... هي تعي كُل هذا جيدا.

يذهب الرجُل لحال سبيله، ثم تُغلق «سعاد» الباب ورائه، وتقرر «سُوزى» أن تُغلق صفحته إلي حِين!

ثم تدخل مع «سعاد» لتصطحبا «رفيق» على كرسيه المتحرك

للحجرة التي أعدوها له.

وكطفل صغير تلقفته أيديهن في رحمة وحنان حتى أتمتا تغيير ملابسه بارتدائه للبيجاما.

ثم أحضرت له «سعاد» الطعام الذي يُفضله كما أوصتها «سُوزى» والمكون من الدجاج والأرز والملوخية.

تجلس «سُوزى» بجانبه علي فوتيه أعدته بجانب السرير لتُطعمه بيديها علي مَهل... وكأنها صارت من تلك اللحظة أمه المشفقة عليه من ظلمه لحاله، رَغم أنها تَعى جَيداً أنه لا يَستحق منها أىّ ذرة حنان...

لكن هو الآن بالفعل ضعيف يَستحق الشفقة.

قلبها يُدميه الألم لما آلِ إليه الحال بَعدما أرّقها ما رأت وما سَمعت، لتنتابَها حالة من الخوف تتمنى أن تتغلب عليها مع قادم الأيام.

تغلق عليه الحُجرة في هدوء، بعد أن تناول قدراً بسيط من الطعام، وخَلد إلى النوم.

يدق جرس باب الشقة... تفتح الخادمة الباب للبنات العائدات من المدرسة، وبدلاً من أن تستقبلهم بابتسامة حانية اعتادوا عليها، استقبلتهم واجمة.

أسرعت أمهما علّها تخفف عنهما مواجهة ما خشيت أن تتحمله قلوبهم البريئة...

لتقول في همس وكأنها تحادثه وهى تقف لجوارهن، وهن تحتضنانه وتبكيان.

«إنه الانكسار «يا رفيق»... الانكسار، أهذا ما أردت أن تُهديه لبناتك في تلك المرحلة التي تحتجن إليك فيها أكثر من ذي قبل؟

لله الأمر من قبل ومن بعد».

آما هو فنائم في سرير» لا حول له ولا قوة «لينالهم قسطهم الوفير من ميراث الوجع و الفقد.

ويظل هذا المشهد حسرات تسكُن طويلاً طويلاً تلك القلوب النضرة البريئة.

٥
صباح ومسا...
شى ما بينتسا...

كانت «سوزى» قد رتبت مع «سعاد» وقبل مجيء «رفيق» أوضاع مواعيد تواجدهم الجديدة بالبيت، خاصة أن بنات «سعاد» كل واحدة منهن صارت تستطيع الآن أن تتحمل المسئولية لحين عودتها إليهم.

فقد تغيرت الكثير من مجريات الأمور بزيارة «رفيق»الأخيرة... منذ قدومه محمولًا على نعش يدّعى وجوده على قائمة الأحياء، فكل ما فى «رفيق» قد مات..

ولم يبق منه سوى أنفاس..

والله وحده يعلم متى ستتوقف.

أدركت «سوزى» أيضًا أنه ستزداد أحمالها خاصةً بعد انقطاع المصروف الشحيح الذى كان يقطره إليها «رفيق»، وضياع أمواله

كلها عند «راشد»، فرتّبت أن تواصل الليل بالنهار من أجل توفير حياة تليق بالبنات، إلى جانب الرعاية وتوفير أكبر قسط من الاحتواء لهم ولأبيهم.

يوم من أيام الأجازة الصيفية.

تتناول «البنات» الغذاء مع أبيهم، وأمهم كأى أُسرة عادية جدًا لا تخلو حياتها من طيف الأوجاع...

وكأن ما مروا به ليس إلا سحابة صيف عابرة، غالباً ما يتعرض لها مُعظم البشر مع تقلبات الزمن .

فقد علمتهم أمهم أن يكونوا الأقوى دائمًا أمام عواصف ورياح فصول الأيام.

فهاهو «رفيق» بالرغم من غيابه على كرسيه المتحرك؛ إلا أنّ «سوزى» تصر كل يوم أن يتوسطهم حضورًا علي السُفرة المعدّة بما يشتهيه الجميع.

وها هى تُمسك بالملعقة لتضع الطعام في فمه، وهو مستسلم لها تمامًا... في وداعة طفل أرهقته كُل ألعاب الحياة ثم عاد.

يستمر الحديث العائلي بين «سوزى» والبنات في ودّ مُتصل، يخبرونها عن تفاصيل يومهم، ويتبادلون الضحكات.

ثم فى منتهى الهدوء تأخذ سوزي «رفيق» وتسير معه مُمسكة بالكرسيّ المتحرك إلى الحديقة، لتناول الشاى الذى أعدته لهم «سعاد»...

تسقيه بيديها وهو ينظر إليها كطفل لا يعرف من خريطة الأيام غير حدود وجه أُمَّه... وطن يسكُنه ويأمن فيه من شرور وآثام الأيام.

ثم تعود معه ومع «سعاد» لتدخلانه حجرة نومه كي يرتاح، تلتقط سوزي أنفاسها اللاهثة في دروب مسئوليات أُسرتها بصعوبة بالغة... عطشى لا تجد حولها أى نبع للحنان يرويها ولو للحظات... سوى فرحتها بالبنات، وجنىْ ثمرة نجاحهم... بعدما تَخلّى الجميع.

تمر ساعات اليوم عادية، وقبل أن تذهب لحجرتها وتخلد لنومها كعادتها كل ليلة، تذهب لتطل عليه...

هذه الليلة بالذات تجدها تقف أمام سريره ثم تشرد قليلًا وتحادثه قائلة :

« كنتُ أحتاجك «رفيق» فى كثير من الأحيان التى كانت تمر بى... كتلك الظروف شديدة الاحتياج للمؤازرة فيما بيننا كأفراد عائلة واحدة... كنت أحتاجك تشعرنى أن عائلتنا قد اشتد عودها

بك، وصارت عصبة واحدة لا تكسرها تقلبات الأيام.

لكنك كنت دومًا تخذلنى مثلهم؛ مثل إخوتى الذين لم أجد بينهم مُعين لى على الأيام، فلم أجد يومًا من بينهم قلبًا وصدرًا يحتوينى، فهم مثلك تمامًا... حتى كلماتهم الجافة التى لم تكن تراعى مشاعرى والتى كانت مسلّطة على حياتى كحد السيف، حين كانوا يلمحون نظرة حزن بعيونى... وبخاصة من بعد وفاة أبى وأمّى كى أترك لهم شقتنا بالإسكندرية، يقولون:

- مكان الست بيت جوزها .

فأمتثل... ولا أجرؤ حتى على البوح»

أحد أيام الجمعة.

تقوم « سعاد « بتنظيف المنزل، وترتيب حُجرة البنات.. ثم تصل لحجرة المعِيشة المطلة علي الحديقة.. وتقوم بتنظيف الطاولة ومجموعة من الصور العائلية الموضوعة عليها؛ والتى كانت وضعتها «سوزي» بعناية ورُقي عليها.

تلك الصور العائلية التى قلّما التقطتها «سوزى»آنذاك ل «رفيق» مع البنات على مضض منه!

كان هدفها أن تكتمل أحاسيسهم بشكل طبيعي، فيكتمل

شعورهم بالترابط العائلى... وأن يروْا دومًا ما تروق له العين، ويَرقّ له القلب.

ثم ها هى صور ل «رفيق» وحده... والتى أصرّت على وضعها على الطاولة، لتجاور صورهم معًا منذ أن رحل للسعودية من سنوات، كى تُشعر البنات فى كل حين أن أبيهن موجود بينهن على الرغم من تقصيره فى حقهن.

وإذا بصورة «رفيق» تقع فجأة من يد «سعاد» وهى تقوم بتنظيف بروازها، فيَحدُث صوتٌ مزعج من زجاج البرواز النحاسى عِند ارتطامه بالأرض، مما جعَل «سوزي» تترك الحديقة مُسرعة، وتدخل لحجرة المعيشة لترى ما حَدث، وما هذا الصوت!

تنظر لتجد «سعاد» تعتذر بشدة عما حدث، فتهدئ «سُوزى» من روعها، وتقول لها:

– خير... خير... قدر الله و ما شاء فعل، خلاص يا سعاد... لمى الكسر.

ثم تجلس علي مقعدها الذي يقابل مقعد «رفيق» الذي كان يفضل الجلوس عليه قبل الحادث، وقبل أن يأخذها صوت فيروز الآتي من الجرامافون بعيدًا، تطلب من «سُعاد» بعدما أنهت تنظيف المكان

أن تُعطيها صورة « رفيق» بعدما أخرجتها من البرواز المحطم... طالبة منها أن تهدأ، وتذهب لإعداد فنجان القهوة.

تنظر للصورة... و تتنهد، وهي تُلقي عليه بها الصباح... وهو قابع على سريره بالحجرة المجاورة .

ثم تسأله في حيرة:

«إلى متي سيظل قدري معك أن يصحبنى الحزن منك... إليك... حتي في أروع لحظات الفرحة؟ وها أنا لازلت أجلس أمام مقعدك العنيد الذى أبى ظِله أن يغادر ويرحل معك ! لتظل كما كنت تحتل كل مساحات الماضي، والحاضر فى حياتى... وغالبًا ما تحتل أنفاسك ورائحتك طُرقات البيت... إلى الآن رغم شللك فى مكانك».

ثم تبتسم فى ود كثيرًا ما كان يزور أيامه وهو لا يلقى له بالًا وتقول:

- بناتك نجحوا يا «رفيق»...

سارة نجحت بالشهادة الإعدادية بتفوق وهتتنقل للمرحلة الثانوية وسُهى هتحصّلها السنة اللي جاية... مبروك.

ثم تَعِدُه أن تضع الصورة ثانية بعد إصلاح الزجاج و البرواز

النحاسىّ، وتُرجعها كما كانت.

تحضر لها «سعاد» قهوتها الصباحية... لتصحبها مع أغنيات فيروز التي تعشقها... لتدندن معها.

صباح ومسا ..

شي مابينتسى ..

تركت الحُب ..

أخدت الأسى ..

لعلّ وعسى ..

إترك هالأسى ..

ويرجعلى حبى ..

صباح ومسا ..

وقبل أن يعود بها هذا الكَسر الذي حَدث مُنذ لَحظات لبرواز صورة «رفيق»... لكَسرة وشَرخ العُمر كله معه.

تَهم لتأخذ البنات لتوصيلهم إلى النادى... لتعود مُسرعة لسعاد كى تنتهى من تنظيف البيت.

وما إن وصلت البيت إلاّ ووجدت «رفيق» فى حالة خوف وبكاء حاد... ولم تستطع «سعاد» أن تهدئ من روعه.

٦
أدّعوك يَا رب..

ما إن وصلت حجرته حتى تعلقت عيناه بها... واستمرّ يجهش بالبكاء... وهى تطبطب على كتفيه، وتمسح دموعه بالمناديل الورقية الموضوعة على الطاولة بجانب الفوتيه، والذى تجلس عليه إلى جواره دائما... فيهدأ كما المعتاد.

فهذه النوبات البكائية قد فسّرها الأطباء الذين أتت بهم إليه من بعد تكملة رحلة علاجه بالمنزل؛ أنها حالة تعد نادرة من حالات الاكتئاب التى تنتاب حالات فُقدان الذّاكِرة.

أما هى فكانت دومًا تستشعر أنه يطمئن لوجودها... فتختصه ببشاشة اللقاء، والترحاب به حين تعود إليه وللبيت فى أى وقت كانت فيه خارجه، وكان هو مستيقظًا.

رغم أنها تعلم أنه فَاقد الشعور بها وبالبنات وبمن حوله وفاقد الاستيعاب بالوقت أيضًا، فالصّباح صار معه كما المسّاء.

إلا أنها تستوقفها أشياء لا تجد لها تفسيرًا؛ كتِلْك الكلمات التى يؤديها هذا المنشد الآن بصوته الرخيم، الذى يدغدغ القلوب والآتي من مسجد السيد البدوى... فيسيطر عليها شعور ما بأنه رُبما يصل بروحه لتِلك النفحات...

ولما لا؟ ف لله فى خلقه شئون... وتلك الكلمات التى تتهادى إليها الآن بالفِعل متوائمة معه... لتذوب هى أيضًا مع روائع الابتهالات .

أدّعوك يَاربّ فأغّفر ذلّتي كَرماً.

وأجّعَل شفيع دعائي حُسن مُعتقدّي..

وأنّظُر لحالي في خَوّفٍ و في طَمع..

هَلّ يرحم العَبّد بعد الله من أحد؟

ينتهى الإنشاد، ويصمت صوت الميكرفون... ليسيطر عليها شعور ما... بأنه رُبما يصل بروحه لتِلك النفح...

ويتكرر عليها ذات السؤال.

فتردده قائلة:

«ولما لا ف لله فى خلقه شئون»

وتسأل الله له العفو، ثم تتركه وتدخل مكتبها لفحص بعض أوراق القضايا.

ينتهى يومها على عودة البنات من النادى مع إحدى العائلات المقربة منهما... ونومهما.

لتبقى هى والليل والذكريات.

يوم جديد.

فقد كانت على موعد مع أحد أهالى المتهمين فى قضية من قضايا الفساد، إذ كانت قضية رشوة كبرى فى إحدى شركات القطاع العام الخاصة بالغزل والنسيج بمدينة المحلة الكبرى ومتورط بالتلبس أحد المسئولين بالدولة.

فرفضتها بعدما قابلت أهله معتذرة لأنها ترفض مثل هذا النوع من القضايا.

تمر الأيام بعدما وفّقت كل أوضاعها بالنسبة للبيت، ورفيق والبنات، وصارت أيامها معتادة المسئوليات .

وها هى تحاول التركيز في العودة لفتح ملف «راشد» والذى كانت قد أجلته حتى تملك زمام أمورها.

تحاول أن تجد مخرجًا للدخول إلى عالم «راشد» بالسعودية من خلال الشركة التى كان يعمل بها هو ورفيق، علّها تصل لأى خيط

يدلها عما يختلج بصدرها، ويساورها من شكوك وبخاصة بعدما هداها تفكيرها للاتصال بأحد الزملاء المحامين الذى كان قد سافر للعمل محامى بإحدى الشركات الاستثمارية بالسعودية

فما كان أمامها من خيار غير مواجهة الموقف الذي وضعها القدر أمامه، ومواجهة «راشد» بل والتفكير برفع قضية عليه في عُقر داره بالسعودية.

صيف/ ٢٠٠٧ .. السعودية.

أصوات عالية تكاد تشعل حرارة أجواء أيام شهر يوليو بالسعودية اشتعالًا بذات الشركة التى كان يعمل بها «رفيق»مع «راشد».

جلال يستشيط غيظًا وبصوتٍ عالٍ ومدوٍ يصرخ:

والله العظيم ما أنا سايبك يا «راشد».

راشد مستهزئًا:

ورّينى شو تقدر تسوى؟

ثم يقوم بطرده على الفور، وينادى العاملين بأمن الشركة قائلا :

- ارموا هاد المصرى...برااااا.

صباح باكر..

سوزى فى حديقة المنزل تدخُل عليها سُعاد وتقول:

- صباح الخير يا أستاذة

أساعدك فى حاجة؟

سوزى: صباح الخير.

شكرا سعاد... من فضلك طُلي عَلى الأستاذ «رفيق»...

ولو صاحي بلغيني.

سُعاد: من عنيا حَاضر.

تذهب لتطل عليه لتجده نائم، فتخرج لها بالحديقة تبلغها، ثم تتجه للمطبخ لتكملة عملها.

تستمع «سوزى»لأحب الأغنيات لقلبها التى يأتيها صوتها من نافذة الليڤنج روم المفتوحة على الحديقة.

ثم تشدها دقات هاتف المنزل الأرضى فتترك الورود... وتذهب لليڤنج روم لترد.

سوزى: ألو.

جلال: ألو... حضرتك زوجة الأستاذ «رفيق علوان».

سوزى: أيوه مين معايا؟!

جلال: أنا جلال صديقه المصرى وكنت سواق الشركة السعودية.

سوزى تصمت، غير مُصدقة أن دعوات السماء قد استجابت لها .

جلال: ألو...ألو

هى السكة اتأ فلت ولا إيه؟!

سوزى: ترد مُسرعة لا...ل

معاك اتفضل... أى خدمة ممكن أقدمهالك؟

جلال : لاااا خدمة إيه اللى تقدميها لى يا أستاذة؟

أنا عرفت من « رفيق « انك أستاذة ..

موش أستاذة باردوا ... ولا أيه ؟

سوزى تندهش من أسلوب الرجُل فتصمت....

جلال: انتى بتروحى فين يا أستاذة؟

سوزى: أبدًا... أبدًا... ممكن أعرف انت طالبنى ليه؟ وجبت رقم البيت منين؟!

جلال: جايلك فى الكلام... إسمعينى يا أستاذة...

أولا... رقم البيت كان عطهولى «رفيق»عشان أكون على اتصال يا أستاذة لأى ظروف تحصل له...

ثانيا...لازم أقابلك عشان فى حاجات كتير لازم تعرفيها.

سوزى تتلقى كلماته باندهاش أكبر فأسلوب الرجُل معها لا يليق!

تستوقفها الجرأة التى يتحدث بها، وترديد اسم «رفيق»دون ألقاب... ثم تأخيره بالاتصال بها لأكثر من عام ونصف... خاصةً وأنه كما هو واضح من كلماته أن «رفيق» كان قد ترك له رقم البيت لأى ظروف تحدث له.

أليس ظرف حادث «رفيق» المأساوى كان يستدعى منه حتى الاطمئنان على صديقه كما يدعى؟

ثم أى صداقة تلك التى ستجمع بينه وبين رفيق؟

تلملم شتات أمرها... وقبل أن ترد عليه تسمعه يهذى بتلك الكلمات قائلا:

– أستاذة... أنتِ معايا على الخط، ولا الخط قفل ؟!

إيه الحكاية؟!

سوزى تفيق وتقول: حاجات ايه؟!

جلال: هاتعرفى كل حاجة لما نتقابل .

سوزى: اتفضل بالمكتب... وده العنوان...

ثم تُملى عليه عنوانها... وبعدما أغلقت معه الهاتف تتذكر أن رفيق كان قد حكى لها وهى تسأله عن تأخير المصروف الشهرى عن البنات... أنه كان قد أرسل «جلال»السواق بالحوالة المالية... ولكن حدث له حادث.

فاعتبرت سوزى هذا الكلام ليس إلا أكذوبة من أكاذيب «رفيق»التى كانت لا تنتهى، وكانت تندهش متسائلة لماذا لم يكن لرفيق حساب بالبنك يحول من خلاله مباشرة النقود لها؟

ثم تخرج للحديقة ثانيةً لترفع عينيها للسماء، شاكرةً ربها متمنية أن يكون «جلال»هذا هو الخيط الذى تبحث عنه الآن للوقوف على حقيقة حادث زوجها وحقيقة «راشد».

٧
يا عاشقة الورد...

صباح باكر...

في حديقة المنزل تشعر وكأنها ما عادت صاحبة الورد... كما كان حالها قبل انشغالها ب «رفيق» فتحاول أن تستسمح الزُّهُور... وأن تتناسى مؤقتًا مكالمة «جلال»وكُل شيء، هى العائدة الآن كى تستعيد قواها لمواجهة هؤلاء، وتُكمل رعاية ورودها بالحديقة، فكم عذبها أنها أهملتهم ولو لبعض الوقت.

تتناسى لتعيش بينهم الآن، وبين صدى ذاك الصوت الذى يصلها عبر نافذة «الليفنج روم» المفتوحة على الحديقة كالعادة... وكأنه أتى كى يُخرجها من هذا الغيم الثقيل ويؤنسها... ويُشبع أيضًا حنينها للمس ورحيق الورد.

إنه صوت المطرب «زكى ناصيف» وروعات نغمات وكلمات رائعته الخالدة «يا عاشقة الورد»

فتدندن معه..

يا عاشقة الورد

إن كنتى على وعدِ؟

فحبيبك منتظر

يا عاشقة الورد

تنهى وقتها الممتع... ثم تدخل على «رفيق» بغرفته لتطمئن عليه... لتجده مازال نائمًا.

فتذهب إلى سعاد بالمطبخ حتى يحين موعد تحضير الغذاء على مائدة الطعام... ليلتفّوا حولها جميعهم .

يوم جديد...

يحين فيه موعد قدوم «جلال»إلى مكتبها.

وها هى تخرج أوراقها من بعد تِلْك الزيارة الثقيلة... لتخرج أحزانها على الورق، وتسرد تفاصيل مشاعرها بين سطوره... بالفِعل يحضر «جلال»للمكتب بعدما اتفقا على أن تكون زيارته ثانى يوم من مكالمته كما أراد،

«تستقبله بحجرة الاستقبال الخاصة بالمكتب سكرتيرتى الخاصة « هناء»، ثم تدخله عندى، وإذا بى أرى رجلًا قصيرَ القامة... نحيل

الجسم... لكنه له نبرة صوت عالية جدًا... وكأنه يعوّض قِصَر قامته بهذا الصوت العالى.

يبدأ بالسلام... فأبادله مُرغمةً السلام، وأطلب منه الجلوس ليقول ما يريد... وإذا بى أكتشف الأدهى والأمرّ، وهو أن الذى عَرفته فِيمَا بين سطور ثرثرته الخانقة والمليئة بخبث النوايا، أن الذى لم يبلغنى به «راشد» لم أكُن أتخيل أبدًا أنه بهذه البشاعة وقت أتى بك جثة شبه هامد، وهو أنك «رفيق» قد كنت علي علاقة بزوجته الثانية الجزائرية الأصل، وقد عَلِم «راشد»بتِلك العلاقة فَجُن جنُونه، ودَبّر لتِلك الحادثة، والتي راحت ضحيتها زوجته الجزائرية، كما خطط و أراد بمساعدة «جلال»وبعض أعوانكم القذرين، أتدرى أنه كان من المفترض تِبعاً لخطتهم التى كَلفَت «راشد» المال الكثير أن تجاورها «رفيق» إلي الآخرة؟

لكن للقَدر دائماً رأى آخر. كيف؟!

لا يعرف راشد..

فالحادث كان مُحكماً ليَصير مروعًا يَشفى غَليله بالتخلص منكما نهائياً، لكن بنجاتك الظاهرية تلك ما شُفىَ غليل «راشد»، وظَلّ بينه وبين نفسه يَعِد عليك تِلْك الأنفاس التى أزهقها بيديه وقت

الحادثة ودون أن يُشيع معها جُثمانك لمثواه الأَخِيرغير هُنَا في مَنزلنا ظنًا منه أن تِلْك الحَادثة ستبقى سِراً مَعه، وفقط... حتى وإن عَاشت تُؤرقه كَظله كُلما راودته ذكراها يومًا ما. أمّا أموالك فقد أخذها للقصاص منك!

وظل يظن أن فضيحة زوجته وموتها سيظلان في طَي الكتمان، بعدما أشاع فيما بين مَعارفه، ومن بعد إبلاغ أسرتها أنها اختفت فى ظروف غامضة، متظاهرًا بمدى حُزنه، وبؤسه أمام الجميع، بل ومُعلنًا بكل فجور عن جائزة مالية كبيرة لِمَن يَعثر عَليها!

وهَذا ما دبر له «راشد»وصار مع مرور الأيام، وحسب ما صور له خياله المريض أنى لن أعرف شيئًا، خانته الأيام كما خانه الجميع حين وقعت الوقيعة بينه وبين «جلال»، وأراد أن يُجهزعليه كى يتخلص من استنزافه لأمواله، ويتخلص من تسلطه عليه.

فجلال كان الوسيط فى كل الأعمال القذرة التى كانوا يقومون بها مع «رفيق» لاستنزاف أموال الشركة التى كانوا يعملون بها ويرأس «راشد»مجلس إدارتها...

ثم هرب «جلال» يد «راشد» الطولى بأعجوبة عائدا لمصر، مختفيًا نهائيًا من المشهد بالسعودية»...

كانت «سوزى»قد سجلت له جميع اعترافاته، وقامت بإرسالها لزميلها بالسعودية... لتقديم «راشد» للمحاكمة لكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى «جلال» وكأنه (فص ملح وذاب.(

مؤمنة هى جداً أن للتدبير الإلهي في الانتقام من الظالمين شأن أخر...

حين يضرب الله الظالمين بعضهم ببعض، وتلك أشياء نعجز عنها جميعًا كبشر.

بعد مرور أسبوع ...

مساءً..

تدخل «سُوزى»عليه حُجرته لتجده مستيقظ على سريره وعينيه الواسعتين زائغتين فى محاولة فرار من وسط وجهه الأسمر، حتى كادت تتخيل أنه سيمسك رأسه بيديه كى يطرقها على حافة سريره...

أو ربما سوف يقوم من ثباته المميت ليصر، ويمسك بشعر رأسه المجعّد... بعدما شيّبته أفعاله الدنيئة، قبلما يحتل شيب أيام العُمر مطارحه.

ثم وكأنها لازالت تراه يحاول أن يفرّ بقدميه النحيلتين راكعًا تحت

قدميها... طالبًا الغفران.

لتحادثه عيناها هى الأخرى عما يستشعره قلبها فى تلك اللحظة وهو يقرأ رسائل عينيه الهاربة من ثقل ذنوب أيامه التى كانت تخرج «سُوزى» مقتضبة المشاعر من حُجرته... مقررة أن تخرج من البيت ذاهبة إلى مسجد السيد البدوى .

فجأة لم يَحتمل الجسد الرقيق، ولم تعُد تُعين الروح المرهَفة علي حِمل كُل هذه الأحمال، وبخاصة مع ذاك الإرث الثقيل، المحمل بكُل هذا الكَمْ من التراكمات والمشاكل التي كانت أخر هداياه الموجّعة لها.

فظلت لأسبوعين متواصلين طريحة الفراش، تقوم على رعايتها ابنتاها وسعاد.

٨
مُجيب السائلين..

تتماثل «سُوزى»للشفاء... وكأن بركة أيام الشهر الكريم قد حلّت عليها.

تحب هى أجواء هذا المكان، وسحره الخاص على عباد الله، وكأن الأرض قد اتّسَع رحابها بمعيته... وفاضت السماء بفيض الرحمات.

شهر رمضان ٢٠٠٨..

أصرّت «سُوزى»أن تجيء «سعاد» بأولادها كُل يوم معها ليكونوا على الإفطار بينهم... ليجتمعوا كالأسرة الواحدة على مائدة الإفطار.

أحد أيام إفطار رمضان .

يذرف الدمع من عين «رفيق»وسوزى تطعمه كالعادة فى فمه طعام الإفطار.. وهو جالس معهم على المائدة.

فتحتار لأمره هى والبنات خاصةً بعدما أتاهم صوت المنشد

الدينى «نصر الدين طوبار» وكأنه يسمع بقلبه تِلْك الابتهالات الآتية عبر ميكرفون مسجد السيد البدوى:

مُجيب السائلين.

حَملت ذنبى

وسِرت على الطريق إلى حماك.

ورُحت أدق بابك مستجيرًا.

ومعتذرًا، ومنتظراااا رضاااك.

يغمرها شعور بالهدوء والطمأنينة عليه... عَلّ الله يكون قد لطف به، ورق لحاله بعدما أصابه ما أصابه.

يطوف بها ذاك السؤال المحَير الذى يختلج نفسها دومًا..

وهاهو يَجئ ويذهَب كُلما وصل «رفيق» لتلك الحالة، وتلاقت أعينهم ..

فتقول فى همس:

« أشعُر أَن هُناك نَظرة مَا تَروح وتَجيئ في عيونك آسفة من حِين لحِين، وكَأنك مدين لى بإعتذار... ثم أنظر في عَينيك... وأُحَدِق، عَلنى أَلمح طَيف «رَفيق» المتغطرس... فلا أَجِد، أُدقّق في سَطوة جَبروتك بين ملامحك عَلنى أَلمح خَيالِ منك فلا أَجِد»

ثم تتمنى وتدعوا الله أن يكون قد غفر له، وأن يتقبله قبول حَسن، لتمر أيّام رمضان بينهم فى أمان الله.

مكتفية هى بهذا القدر من التنكيل ب «راشد»، بعدما تركته للقانون يحاسبه كيفما شاء، راضية بكُل ما سيأتى، لأنه سيكون فضل الله الذى دائمًا يقف إلى جانبها... وأن هذا هو أقصى ما تستطيع فِعله.

أما الحُكم العادل الحَق فقد تركته راضيةً للمَحكمة الإلهية... ليموت «راشد» بعد ذلك بشهور قلائل من أعلى سفح جبل بالسعودية، في حادث مماثل للحادثة التى كان قد دَبرها لرفيق وزوجته الجزائرية، ثم ها هى تضع هذا الصندوق الأسود بكل ما فيه، ليكون هو آخر هدايا «رفيق» الثقيلة لها، ليظل مُغلقًا للأبد، دون أن تدرى عنه البنات أى شيء .

لم تندم على الأموال التى تكبدتها فى القضية التى كانت رفعتها بالسعودية، لأن ذلك كَان بِحُكْم الواجب الذى لابد أن تقوم به تجاه هذا الإنسان، والذى هو أبو البنات مادام الأمر فى استطاعتها.

لكن هذا الزوج فهو غير موجود فى حياتها مُنذ زمن بَعيد جدًا، فقد اعتادت ألا تهتم لأمره بعدما أجبرها خُذلانه لَها علي ذلك، هى

فى تِلْك المواقف بالذات غيره، فهى لم تعتدْ أَن تخذل أحدًا، خاصةً من هو فى مثل حَاله وقتها بلا حَول ولا قوة.

آخر ليالى شهر رمضان ..

فى هذه الليلة، قرّرت «سعاد» أن تبقى مع الأستاذة «سُوزى» بالبيت لأن حالة الأستاذ «رفيق»متدهورة، وخاصةً أن بناتها وابنها قد سبقوها عند جدتهم بالريف، وستلحق بهم هى استعدادًا لاستقبال أيام العيد هناك..

سوزى تستدعى الطبيب المشرف على الحالة...

الطبيب يحضر، ويقوم بالكشف على «رفيق «.

ويقول: أستاذة «سُوزى»، الحالة حَرجة جداً... أجهزة جسمه كلها لا تعمل بشكل طبيعى... أنا شايف إنه لازم يتنقل المستشفى حالا...

سُوزى: فجأة كده يا دكتور؟

وقبل أن يرد عليها الطبيب، يقوم باستدعاء الإسعاف.

وقبلما يصل الإسعاف لحمله للمستشفى؛ كان «رفيق» قد أسلم روحه لبارئها بين يدىِ «سُوزى».

أما البنات فكُنّ نائمات.

ليحل الحزن على البيت مع حلول أيام العيد عليهم.

وكأن أيام الفراق تعيد نفسها إليه، لتمكث «سُوزى» وبناتها يتقبّلْن فيه العزاء، وتتذكر طوال أيام العزاء تِلْك الأيام الحزينة مع رفيق، وهى لا تشعر بمن حولها من زملائها.

لتعود عند هذا العام وكأنها تحاكيهم عنه تارة... ثم تحاكيه تارة أخرى.

عام ٢٠٠٠

ليلة العيد الصغير

ودون أدنى شعور «لرفيق» بدفء اللمة وحضن العائلة وبخاصةً فى تِلْك المناسبات... يقرّرْ أمامهم فجأة أنه مسافر للعمل بالسعودية، غير عابئ بحساسية الموقف مع البنات، وافتقادهم الدائم للحظات السعادة العائلية مع أبيهم، للأسف هذا الدفء العائلى الخاص كان آخر اهتمامات «رفيق».

«يتركنا بالفعل «رفيق» فى هذه الليلة، و يُسافر لإتمام أخر صفقاته الخاسرة مع الحياة، بعدما قدم استقالته منذ عامين من الشركة التى عَمل بها موظفًا مُنذ سنوات زواجنا الأُولى»

ثم تقوم وتتجول بالشقة بعد خروج زملائها من المنزل، وتقبلها عزائهم،

لتقف أمام صورته الموضوعة على طاولة الليفنج روم... تحادثه:

« أمّا عن هذه الأعوام التى انزويت خلالها على تلك الأريكة لا تفعل شيء سوى قراءة الصحف والمجلات... ومشاهدة التلفاز... ويدك مُمسكة بالريموت كنترول... تتنقّل من قناة لقناة... تتابع تفاهات الدورى العام، وكأنه مُشكلة المشاكل التى لابد أن نكتم معها الأنفاس رُعبًا من اشتياطك غيظًا، إذا فريقك الذى تشجعه خسر... وكأنك مدرب الفريق الذي بذل الجهد الجهيد حتي خذله فريقه».

ثم و كأنه أمامها يسمعها... وشريط الذكريات لم يَزل ينساب أمام دموعها.

قائلة:

« آه لو كنت أبصرتني قليلاً لكنت عرفت أنى أنا التى كنت هذا المدرب الذي بذل الجهد الجهيد مع الفريق المخذول، وأنّ الفريق المخذول كانت أيام حياتى معك».

ثم تتذكر تطاوله أثناء قيامه بالشجار معها لأتفه الأسباب ليل نهار... ومع البنات، بل وأحيانًا مع «سعاد» التى لم تسلم منه،

وكيف أنهم جميعًا كانوا بمثابة الحيطة المائلة التى ركن عليها كثيرًا... كثيرًا، حتّى كادت أن تسقط جدرانها على الجميع، تتنهّد أمام المرآة لتجد نفسها بحجرتها دون أن تشعُر... لتواصل عتابها له قائلة:

« وللأسف لم تخرج من تلك التجربة أو الوظيفة المحترمة التى داستها أقدامك سوى ببعض من العلاقات السطحية، تلك العلاقات التى تخيلت أنها ستضمن لك العمل بالمجال التجارى بحُرية، وبعيدًا عن قيود الوظيفة، لم يقف أحد لجوارك لأنك ببساطة لم تكن تقف لجوار أحد، ثم ها أنت تمكث بالبيت طويلا... بعد أن تخليت عن كل مسئولياتك تجاه بناتك.

أما أنا فلا عليك فقد تخليت من أول ليلة لزفافنا عنى، وها أنت ما تورّعت أن أقوم بكل التزامات البيت دون كلمة طيبة تطيب الخاطر، أو تعين على مواصلة الحياة معك».

سعاد .... تفتح عليها باب حُجرة نومها بعدما استأذنتها بالدخول لتقول فى صوت خفيض، وعيون يملأها الحنو والمحبّة:

-أستاذة سُوزى ..

سوزى: أيوه ياسعاد

سعاد: أخت حضرتك وأخوكى، وصلوا.

٩
دار.. يادار.. يادار..

تتنهد «سُوزى» فى حُزن يضاعف أحزان تجترّها تداعيات ذكريات ما لاقته من»رفيق»حتى تِلْك اللحظة، لتتوقف فى لحظة مرار خاطفة عند قسوة إخوتها عليها بعدما أسمعتها «سعاد» كلمتين لهما خاصية خاصة، فتِلْك الكلمات لها وقع حنون على كثير من مسامع البشر عداها، ودلالة لصلة الرحم التى قطعوها ولم يراعوها، حين همست وأخبرتها «أخوكى وأختك»؛

أخوها على:موظف مرموق فى مصلحة الضرائب، ولا مصلحة تعلو فوق مصلحته.

أختها سحر: لا تعرف أى معنى من معانى الحياة سوى ما يرضى رغباتها وأطماعها، وهذا ما اتضحت معالمه كثيرًا و انكشف كثيرًا بعد وفاة والديهم.

تذهب للقائهم وقد ظهر عليها شدة التأثر من جحودهم، وقسوتهم عليها.

فتلك الزيارة قد جاءت بعد غياب طآل لسنوات بعيدة، مُنذ أن كانت بآخر زيارة صيفية لبيت والديها بعد وفاتهما، حين قابلاآها لم يراعيا انهيارها أثناء تواجدها بالبيت فارغًا من الأحبة فكانوا يتعاملون معها بجفاء، وكأنآها صارت عبئًا ثقيلً... ثم قررا بيع الشقة بعد عامين فقط من وفاة والديهما، ودون علمها، حتى أنها لم تأخذ منهما نصيبها، متحججان حينها بأنها أخذت حقها أولًا بأول، يقصدان تِلْك النقود البسيطة، وتلك اللمسات الحانية عليها التى كانت تبدر من والديهم عليها، حين كانت تأتيهم للزيارة...

اعتبروها بمثابة استحواذها على كُل شيء إلى جانب أنها كانت الصغرى المدللة.

سُوزى تخرج من ذكرياتهما القاسية لتمد يدها إليهما بالسلام.

سحر تدّعى الحزن، والتأثر وتحاول أن تسقط دمعتين وتضمها لصدرها فى مشهد سينمائى مؤثر.

على: شِدى حيلك ياسُوزى...البقاء لله.

سحر: البركة فيكى، وفى البنات.

سُوزى تتحدث دموعها فى صمت حزين.

سحر: كُلُّنا لها، والبركة فى البنات، وفيكى... والحمد لله أنه موش ها يحوجهم لحد... طول عُمره مادياته مرتاحة... وبيسافر هنا وهنا.

تَنظر إليها سُوزى... ثم تحاول أن تأخذ نفسًا عميقًا، فتذهب إلى المطبخ... تطلب من» سعاد» أن تحضر لهم القهوة، وتبقى معها قليلا، علّها تروى ظمأها للمسة حنان بكوب من الماء البارد.

يدور هذا الحوار الجانبى بين على وسحر.

سحر: قولها تبقى تجيب البنات، وتيجى تغير جو يومين.. يمكن تقدر تأثر عليها، وأهو تحنن قلبها عليك وعليا... إحنا مهما كان موظفين... ياريت تقنعها تساعدنى فى تجهيز البنات... أنا موش هاضيع عمرى، وكُل اللى معايا على جوازاتهم بعد ما أبهاتهم راحوا، وانت عارف غُلب أختك «سحر»، وحظها النحس فى جوازاتها،غير حظ «سُوزى»خالص، الأولانى مات، والتانى طلقني يا على... أنا عندى مصاريف يا على... هاعمل عملية تجميل كبيرة، ومحتاجة فلوس كتير، وهى ما شاء الله محامية كبيرة ووارثة شيء وشويات.

ينظُر إليها «على» بازدراء، ويقول

: بس اسكتى شوية... والله ها تفضلى طول عمرك ماعندكيش دم، ده وقته؟

الله يكسفك... أومال لو ماكنتيش الكبيرة بتاعتنا... ياشيخة اختشى شوية !

سحر: أهو أنت كده على طول... عمرك ما اديتنى ريق حلو.

على ولأول مرة فى حياته يتحرج من «سُوزى»بعد دخولها عليهم خشية أن تكون قد سمعت شيئًا...

سُوزى: اتفضلوا القهوة.

يتناولان القهوة... ثم يطلب «على» الانصراف، بعدما سأل «سوزى» لو كان باستطاعته تقديم أى شيء.

تشكره سوزى، ثم يستدعى «سحر» التى بدأت تتجول بالشقة، وينادي عليها بعصبية:

– ياالاا ياسحر... الدنيا ليلت علينا... ياالاا.

تجرى «سحر»لتحتضن «سُوزى»، وتحاول أن تستجدى دموعها، فلا تسقط من عينيها أى دموع.

تُغلق «سعاد»الباب ورائهم، ثم تعود «سُوزى» لحجرتها، لتستوقفها الذكريات مرة أخرى، تقف عند دولاب ملابسها... تفتحه، وتخرج منه بيجامة ترتديها لتنام، و تتسائل فى حيرة:

«لِمَ أراك «رفيق» ولا زِلْت تحتلّ الشماعات الفارغة لدولاب الملابس... رغم أني نزعت منها ملابسك، وقمت بتوزيعها علي مُستحقيها من عَباد

الله... دراويش مُولد «السيد البدوي» وكأني أردت أن أخلع عني ظلك هناك بالذات، كى تصلك رحمات السماء بتلك الصدقات مع دعوات بالرحمة من تلك القلوب المسكينة التى سوف ترتديها بعدما مزّقت ألبستهم قسوة ظروف الحياة، وكم دعوت ربي بالرحمات كثيرًا، عَلها تتقبل منى ومنهم فتصل إليك، أعترف أنى حقًا و صدقًا سامحتك... سامحتك من قلبى، لكن لاحيلة لي في أنك مازلت تؤرقنى، وليسامحنى الله لو كنت قد أسرفت فى حزنى وشكوتى منك».

يأخذها صوت الشيخ النقشبندى، والذى كانت مجموعة ابتهالاته دوما هى ما يُطَمْئِن روحَها فى كل فترات حياتها مع تِلْك الكلمات...

نفسي يا رب...
نفسي يا رب تغالبنى...
وأجاهدها...
فتحاربنى...
أخشىَ أن أهن...
فتغلبنى...
لولا رحمتك تقربنى من نورك...
فافتح غفرانك...
غفرانك.

١٠
طنطا - ٢٠١٥

طلّى بالأبيض طلّى

يازهرة نيسان

سُهي: مامي حبيبتي

صباحك فُل ياقمر

سوزي وابتسامة الرضا بتكملة رسالتها على خير، يملأ وجهها الإشراق

وتقول: أنا النهاردة تنادينى «أم العروسة»...

ياروح قلب القمر...

سُهى وفرحة العُمر كله تُزغرِد بالأمل فى غدٍ أجمل... وأيام تذوب حلاوتها في روعة حضور «وائل»...

كان زميلها فى كلية الإعلام، وتخرجا سويًا من الجامعة... ليكملا

بعد خطوبتهما، وزواجهما مشوار العمل والحياة في جريدة مُحترمة.

من بعد مباركة العائلتين لحبهم بالزواج... ومشاركة العائلتين في تكاليف الزواج التى أسهمت فى تخفيف الأعباء، وإحساس كل طرف من أطراف العائلتين بالتقارب.

وهذا ما كان عليه الحال أيضًا أثناء الإعداد لزواج أُختها «سارة» فتلك كانت أحلام «سوزي» التى حققتها وحدها بعد وفاة «رفيق».

فلم تتزوج ابنتيها»سارة» و»سُهي» زواج صالونات مثلها... إذ كان زواج «سارة» أيضا من بعد حصولها علي بكالوريوس التجارة، من ابن الجيران المهندس «هاني» بعد قصة حُب جميلة وبريئة كأيامهم شيئًا متوقعًا.

بعدما تحدثت عن هذا الحب، وصرحت به أيام صباهم وشبابهم.

هاني... الشاب الطموح الخلوق، والذى سافر هو و»سارة»من بعد زواجهم بسنة واحدة لدولة الإمارات... كى يكملا هناك المشوار ولم يرزقا بأطفال بعد...

وها هم فى إجازة قصيرة لحضور حَفل زفاف «سُهي» كى تكتمل الفرحة بوجودهم وتشبع منهم أيضا «سُوزى»لبعض الوقت... تُعانق «سُهي»أُمها في حُضن طويل يُلملم ما ضاع منهما من فرح فى

هذا المشوار الطويل، والذى كانت فيه «سوزي» الأب والأم في آنٍ واحد... سواء أثناء حياة «رفيق» أو بعد الغياب.

فرفيق كان دومًا زائرًا.

تستيقظ «سارة»على صوتهما...

سُوزى... محدثة ابنتيها:

- ايه رأيكم نفطر فى الجنينة.

البنات:

- الله...

حلو جداً... الجو جميل فعلًا النهاردة.

سُوزى:

- أحضّر أنا و»سعاد» الفطار، وحضّروا أنتم الشاى.

ثم تطلب من «سارة» أن توقظ هاني ليتناول معهم الفطور لتخبرها «سارة» أنه قد صعد لشقتهم لتناول الفطور مع والده ووالدته.

مساءً تخرج «سُوزى»وابنتيها لتكملة مستلزمات زواج «سُهى»، ثم تعود معهم ليمضوا بعض الوقت بالنادى مع عائلة «وائل» والتى حضرت قبل الزفاف بيوم لمدينة طنطا لإتمام زواج ابنهم... وعائلة «هانى».

يتبادلون الأحاديث فى ودٍ واحترام، ثم يتناولون العشاء سَوياً.

تعود سُوزى لمنزلها مع ابنتيها وهى تَشعُر بالسعادة التى غابت عَن بيتها كثيرا.

تدخل حجرتها، وبعد تغيير ملابسها تقبع بسريرها شاردة تفكر متسائلة ...

ماذا ستفعل بعدما يفرغ البيت تماما من صوت البنات؟

ثم تأخذ كتابًا للقانون الدولى... كان موضوع على الكيمود المجاور لها لتقرأه، كَى تخرج نفسها من هذا الشعور المؤلم بالوحدة...

لتدخل عليها «سُهى» قائلة:

- خدينى فى حضنك يا مامى

سُوزى:

- بس كده... تعالى يابكاشة... هههههههه.

تستشعر «سُوزى» أنها هى التى تريد هذا الحُضن، وليست ابنتها فتهدأ...

حتى كادت عيناها تغفو وتنام...

تمر ساعة لتجد نفسها لازالت تُطيل البقاء في حُضن «سُهي» وكأنها تريد أن تشبع منها قدر المستطاع، قبل أن تتركها وتَذهب

بعيدًا كما ذهبت أختها قبلاً.

سهى:

- مامى حبيبتى...

إنتى روحتي منى فين؟!

سوزى تمسح بيديها الحانيتين علي شَعَر ابنتها، وتقول:

- هاروح فين يا عروستنا...

ما انا لسه في حُضنك يا قلبي... قبل ما يخطفك منى الشاطر «وائل»

سُهي:

- لاااا والا ممكن أبداً...هههههههه

بس خلي بالك من نفسك...

والله انتي اللي مخطوفة مننا!

هو أنا لسه هاعرف مامتي حبيبتي...

روحتى فين؟!

صحصحى معانا والنبي يامامى الأيام دى بالذات...

سُوزى ضاحكة:

- .بنت... ايه صحصحى دى ...

سهى تقبلها كثيرًا... وتقول:

- لن أسمح بالسرحان ولا ثانية بعد كده...

ياااالا يا أُم العروسة خلاص كفاية عليكي كده...

ورايا حاجاااات كتيير جداً ...

سوزى:

- حبيبة أُمك انتى يا أجمل عروسة...

صحيح الوقت سرقنا والفجر هايأذن.

من فضلك اسقيني يا سُهي.

سُهى:

- بس كده يا قمر...أنت تُؤمرنا آمر يا جميل.

سوزى تبتسم في هدوء، وهي تُلملم ما بُعثِر من مشاعرها علي طُرقات الأسى مع ليل الذكريات... ثم ترتشف الماء مُقبلة جبين ابنتها العروس، وتطبطب علي كتفها ثُم تَهِم واقفة للوضوء والصلاة.

داعية الله أن يسعد قلوب بناتها، وأن يكون حظهن بالحياة أفضل منها فغدًا زفاف «سُهى».

***

صباح يوم الزفاف...

سُوزى تحضر لابنتها فستان الزفاف الأبيض وتقول:

– بسرعة حبيبتى الوقت بيجري بسرعة

سُهي:

– هههههه... و إحنا وراه جري ياجميل.

تجري سُهي كطفلة صغيرة بين طرقات بيتها المؤدية لحُجرتها تسبقها فرحتها...وهي تُغنى:

إجري...إجري...إجري

ودّيني أوام وصلني

وصلني أوام وصلني

لحبيب الروح...

مستنى...

سوزى تضحك من بعيد... وتقول لها:

– إخلصى يا غلباوية.

تسعَد «سوزى» بفرحة ابنتها، مُتذكرة مع صوت ابنتها اسطوانتها المحبّبة «لعبد الوهاب»والذى طالما صدح صوتُه مغرداً فى البيت معها ومع البنات، وهُن يتمايلن كالفراشات حولها مُنذ نعومة أظافرهُن...

سُهى فى حُجرتها لارتداء ملابسها، ثم الذهاب مع أمها وأختها إلى الأوتيل المقام به حفل الزفاف... تسبقها ذات الأمنيات التى تُداعب أحلام كُل البنات الوردية.

بَدْءًا من استقبالها الكوافير بحجرة الأوتيل ثم ارتداء الثوب الملائكى الأبيض، والذى كثيراً ما كان، ومازال أجمل أحلام كُل البنات.

لتبدو «سُهى»أجمل عروس فى ليلة العُمر التى لن تتكرر، ويكسو وجهها الرقيق فَرحة تتطاير لتَروح وتَجيئ مع طرحة العُرس المصنوعة من التُل الأبيض التى تَهفهف على وجهها فتعلوه فَرحة تحقق حلمها بالزواج من «وائل».

وعلى دقات طبول زفة العروسين بالمزمار البلدى تتمايل دقات القلوب المحبة للعروسين، ويتراقص معهم العروسان طربًا و فرحًا.

لتلف زغاريد نساء العائلتين بين أركان القاعة فتملأها بالفرحة والاستبشار بخير القادم من الأيام.

يتبادل أهل وأصدقاء العائلتين التهانى وسط فرحة العروسين الغامرة.

فقد دعت سُوزى لزفاف ابنتها كما كان الحال بزفاف «سارة» قبلًا بعضًا من أقاربها وأقارب «رفيق» القليلين، «فرفيق» كان وحيد والديه...

كذلك دعت أختها «سحر» وبناتها اللاتى كانت تأكل قلبهم الغيرة كأمهم مُنذ فرحة «سُوزى» الأولى بابنتها «سارة»، آما أخيها «على» فهو كالحاضر الغائب فقلما يشعر بوجوده أو وجود أولاده أحد.

تقف «سُوزى»... تغرق عينيها دموع الفرح وهى ترى ابنتها تخطو كالملائكة أثناء سيرها بقاعة الفرح الكبيرة وعريسها بيديها وصولا للكوشة... تزفهم الموسيقى الملكية المصاحبة للكلمات الجميلة التى تشدو بها الرائعة «ماجدة الرومى»:

طلى با الأبيض طلى
يازهرة نيسان
طلى ياحلوة وهِلى
بها الوش الريان
وأميرك ماسك ايديكى
وقلوب الكل حوليكى
والحُب بشتى عليكى
ورد وبيلسان
قلبى بيدعيلك يابنتى

بها الليلة الشعلانه
يا أميرة قلبى أنت
سلمنا الأمانة
ماتنسي أهلك ياصغيرة
بعيننا ماصرتى كبيرة
ضلى معنا وع جناح الأمان
طلى بالأبيض طلى يازهرة نيسان.

وقبل أن ينتهى حفل الزفاف، يقبل عليها أحدهم...
ويمد يديه إليها بالسلام...
تبادله السلام وهى تحادث نفسها أنها تعرفه
هو:
- إزيك يا سوزى... والله زمان.
مازالت مندهشة...
وغير مصدقة عينيها...

١١
يا دنيا ياغرامى.

كهدير ماء غمّر أحرف الكلمات فيضه لتنطلق بعفوية...
بعدما ظلّت حبيسة صنبور هَدّه صَدأ الأيام.
فكُسِر ذات لحظة، لتتدفق منه الكلمات بتلقائية.
وها هى «سُوزى» تقف أمامه منطلقة... فَرِحَة، بعدما أسعدها هذه الليلة بالكثير والكثير، حتى أخر لحظاتها، والتى من الواضح أنه تعمد أن يكون لقائهما بها...

سُوزى :

- يا الله...أنا بجد مُش مصدقة عنيا...
ازيك يا مجدى... وازى هند ومُهاب
بجد مش مصدقة عنيا
أهلاً وسهلاً...
اتلخبطت جدًا للحظات... افتكرتك «مُهاب»

مجدى مداعبًا إياها:

- هههههه

طبعا عندك حق

أنا ومُهاب نشبه بعض كتير.

ثم يرفع عنها حَرج السؤال عن أسباب تواجده بحفل زفاف ابنتها:

- أنا أكيد من قرايب العريس «وليد» ابن أُخْت المدام... اتفضلي أعرفك عليهم...

سُوزى مُرحبة بأخى صديقتها العزيزة وأسرته:

- أهلاً وسهلاً... شرفتونا.

يردّون عليها التحية بحرارة، وود شديد.

فقد سبقتها إليهم سيرتها الطيبة، وتربيتها الحسنة لبناتها، ينتهى اللقاء بالترحاب، والتهانى، ووعد باللقاء فى أقرب وقت مُناسب بين «سوزى»و «هند».

ثم تبادلا أرقام التليفونات.

ينتهى الحفل ليودع الجميع العروسين متمنيين لهما حياة سعيدة بإذن الله.

ثم تحتضن «سوزى» ابنتها وعريسها، مُمسكة دموعها كي لا تفر

من حصار كانت قد اجتهدت سنوات وسنوات فى أن تفرضه على عينيها، وكأنها أمرت دموع القلب أن تربط على مشاعرها سنوات طوال... طوال...

فاستجابت حواسها طواعيةً إرضاءً لأمومتها الحانية علي قلوب بناتها.

عدا تِلْك الدموع التى ما كانت قادرة على السيطرة عليها سواء بفرح سارة، أو تِلْك التى فرت منذ أوقات فى هذه الليلة لتطابق الشعور بالموقفين.

على الرغم من محاولاتها التخفى عن أعينهن...

فحين أطلت ابنتها أمام الجميع بالثوب الأبيض فى يد عريسها لحظة دخولهما القاعة . كما ليلة «سارة» وعريسها مُنذ ثلاث سنوات، لم تتمالك نفسها وانسابت دموع الفرح، لكن لحظة الوداع الآن هى الأحق بالفرح... ومدارة الوجع.

فودعتهم جميعاً علي فرحة، وابتسامة.

تعود سوزى لمنزلها... فقد حجزت لسارة وهانى غرفة بالأوتيل سيبيتان بها هدية منها، لتبقى ليلتها فى بيتها وحيدة من كل شئ إلا ظل البنات، فارغة من كُل الأشياء إلا حُب بناتها... الذي ظل

يملأها... ويملأها فيمنحها كُل هذا العطاء على مدار تلك السنوات، تدخل حجرة نومها لتنام ليلة هادئة، حامدة و شاكرة ربّها أنه أعانها وما تخلي عنها أبدًا فى كل مراحل حياتها، والتي ما شعرت فيها بالوحدة أو الغُربة عن أهلها في تلك المدينة الصغيرة...

إلا أوقات قليلة جدًا... كانت تهرع فيها إليه طالبة العون... ودومًا لا تستند إلاّ على بابه.

صباح جديد...

تستقبل بابتسامة أمل يومها الجديد متمنية أيامًا أجمل بإذن الله، وهى تستمع لعبد الوهاب وتسقى ورودها... يتهادى صوته بين جنبات البيت ليصلها كالعادة بالحديقة، وهو يشدو برائعته:

يادُنيا ياغرامى
يادمعي يا ابتسامى
مهما زادت ألامى
قلبى يحبك يادنيا

وقبل أن تقوم «سعاد» بترتيب المنزل تدخل عليها الحديقة تكسو وجهها ابتسامة صادقة مفعمة بالإخلاص لعِشرة الأيام وفى يدها «

فنجان القهوة»المعتاد.

سعاد:

– صباحك ورد يا أستاذة.

كانت ليلة حلوة قوى والله يا أستاذة

ربنا يديم عليكى الفرح يا رب

سُوزى:

– ربنا ما يحرمنى منك يا اصيلة

سعاد:

– العفو يا أستاذة

و أنا يعنى بعملك إيه؟!

يا ريتني أقدر على أكتر واكتر

والله ما كُنت أتأخر

أصل انتى يا أستاذة مش عارفة غلاوتك عندى.

سُوزى:

– عارفة يا أصيلة، ومتأكدة جداً والله

سعاد:

– حضرتك يا أستاذة بنت الأصول الغالية قوى...

لو أطول أديكى عنيا ما أتأخر.

سُوزى:

- تِسلملى عيونك

الله يكرمك يا سعاد...

البيت معلش مكركب شوية من عمايل البنات امبارح... خلصى بسرعة...

عشان تطلبى بناتك فى البلد، وتطمنى عليهم، وعلى أخبارهم مع أجوازهم... وسلميلى عليهم، و بوسيهوملى هما، والعيال

سعاد:

- يخليكى لينا ويبارك فى عمرك يا رب

ثم تذهب لإحضار الموبايل بعدما سمعت صوت، تتلقف «سُوزى» الموبايل من يدها على مَهْل...

ثُم يَتلقفها ذاك الصّوت الذى كان، وكانت لها معه أجمل سنوات عاشتها... وكثيراً ما اشتاق له قلبها، فتِلْك الأيام التى عاش فيها هذا القلب مطمئنًا، قبل أن تزوره الأحزان، ويعرف دروب القلق...

وهاهو ذَات الصوت الذى لم تغيره السنوات...

هند صديقة الطفولة، والدراسة، وجارة الأيام الخوالى.

هند:

– وحشتيني جدا...جداً يا أم العروسة...

مبروك ألف ألف مبروك يا سُوزى.

سُوزى:

– أهلا...أهلا يا هند

الله يبارك فيكى وحشتيني حبيبتى أكتر وأكتر والله.

هند:

– عرفتى صوتى بسرعة.

سُوزى ضاحكةً ضحكة من أعماق القلب:

– أكيد طبعًا... صوتك مُستحيل أنساه... لكن المؤكد أن «مجدى» والتكنولوچيا هما أصحاب الفضل الأول حبيبتى... أنى أسعد بصوتك.

هند:

– هههههههههه...

صحيح عندك حق أنا نسيت أن مجدى اعطاكى رقمى وأكيد سَيقْتيه باسمى هههههههَّه

لسه سَريعة البديهة يا سُوزى.

سُوزى:

– هههه بديهة مين؟ وحياتك خلصت.

لكن فعلا صوتك ما اتغير وما نسيته أبدًا.

هند:

– هههههه حبيبتى

ماتتخيليش أد إيه فَرحتي أن الدنيا بعد ما فرقتنا... ترجعنا لبعض من تانى.

سُوزى:

– الدنيا علمتنى أن الأيام فيها مفاجآت كتير.

لكن كنت دايماً بفكر فيكى...وأقول ياتري هي فين دلوقتى؟

هند:

– ده حقيقي لأَنِّي كُنت بفكر فيكى دايمًا...و الغريب إنك بعدتى كتير عننا وعن إسكندرية.

سُوزى:

– تخيلي أنا وحشتني اسكندرية جدا.

هند:

– إحنا فيها...

وطنطا مُش بعيد عنها...

واسكندرية أكيد لِسَّه موجودة هههههه...

واحنا لاقينا بعض يبقي فاضل إيه؟

سُوزى:

– فاضل نتقابل.

هند:

– هههههه

لِسَّه زي ما نتى بخفة دمك وذكائك.

سُوزى:

– الله يكرمك.

بأذن الله قريب جدا نتقابل.

هند:

– خلاص علي وعد نتقابل، وما ها تكلم فى أى شىء عنى غير لما نتقابل.

ياااه يا سُوزى...عايزة أقعد معاكي زى زمان، وأحكيلك وتحكيلى.

سُوزى:

– بإذن الله

هند:

– ما هطول عليكى، النهاردة صباحية العرسان ربنا معاكى ألف مبروك مع السلامة حبيبتى.

سُوزى:

– الله يسلمك حبيبتى.

مُكالمة «هند» قد أتت في وقتها تماما...

لتُسعد «سُوزى» وتجعلها تدخل إلي المطبخ في مُنتهى الهِمة والنشاط لتحضير العشاء لابنتيها وزوجيهما، مُستعيدةً ذكريات كانت بريئة الأيام، هنية اللحظات...

فتُعيد إلي وجهها الصبوح بسمة جميلة كانت قد غابت طويلًا طويلًا.

فغالبًا قد مضت كُل الأحزان لحالها مُنذ الأمس البعيد.

وقد أتت أيام وليالى حالمة عاد الفرح فيها زائرًا...

وهاهو مازال حُلو المكوث في بيتها.

وهَا هُما «سارة وهانى» يعودان إلى المنزل... بعدما أن اطمأنّا على العروسين وتركا الأوتيل.

ليلحقا بهما بعد ساعات قليلة بمنزل سُوزى ، ويجتمعا سَويًا، ليتناولوا معها جميعهم الطعام الشَهي .. والذى تشتاق إليه «سارة» كَثيرًا من أيدى والدتها بعدما حَرمتها الغُربة من أشياء كَثيرة، ولكِنها طَبيعة الحَياة.

تتذكر «سُوزى» وهى تحضر طعام العشاء لابنتيها، وقبل سفر العروسين لقضاء شهر العسل، كيف أنها ذهبت مع « سعاد» للعروسين «سارة» و»هانى» قبلًا فى شقتهما التى تجاورهم بطنطا، والتى أغلقوها مُنذ سافروا «دبى».

كان المساء يشبه هذا المساء، وقبل عودتهما من ذات الأوتيل تترك لهما طعامهما مع صُحبة ورد كانت قد أعدتها لهم من الحديقة.

صباح ثالث يوم...

سارة تناديها:

– مامى..

سُوزى:

– أنا هنا حبيبتى تعالى..

تذهب إليها بالمطبخ

سارة:

- صباح الخير مامى...

خلصى بسرعة عشان خارجين

سُوزى:

- لاااا، أخرجوا انتم حبايبى.

ترفض «سارة»، وتصر أن تخرُج معها وزوجها للغذاء خارج البيت... ثم قضاء أُمسية سعيدة... رافضين تماما أن تظل «سُوزى» وحدها بالمنزل، خاصةً بعد سفر «سهى» وعريسها لقضاء أجمل أيام العُمر بشرم الشيخ.

وكذلك أخذت «سُوزى» أجازة، وإغلاقها المكتب لمدة أسبوعين للتفرغ لعُرس ابنتها وباقٍ منها أسبوع.

لتمر الأيام حانية... تطرح «سُوزى» فيها كُل هموم العُمر خلف ظهرها الذي يأبى أبدًا الانكسار.

وتواصل ليل المساء بعد عودتهم للمنزل من خروجاتهم السعيدة مع «سارة وزوجها» والتى كانت فى إحدى دور العرض السينمائي... ثُم تُكمل سهرتها حتي بزوغ الفجر في رِحاب ومعية محبة الله... ومحبة البنات، ودعواتها لهن بالسعادة .

١٢
«وهّديتني وردة»

بعد مضيّ أكثر من شهرين علي زواج «سُهى» واستقرارها مع زوجها بالقاهرة، وعودتهم لعملهم الصحفى بإحدى المؤسسات الصحفية... وعَودة «سارة» مع زوجها «هانى»لمزاولة عملهما بالإمارات».

فَرغت الحياة تمامًا حَول «سُوزى»... إلا من مكالمات يومية بينها وبينهم.

فآثرت الانشغال بعَملها ، وتفرغت له أكثر... حتى جاءتها ذات يوم دعوة من الرجُل البسيط فراش مكتبها بالمحكمة ، لحضور أحد العروض المسرحية المقامة علي مسرح دار الثقافة بطنطا، والتى يَقوم ببطولة العَرض فيه ابنه الطالب بكُلية الحقوق بطنطا... فتلبَّى الدعوة بامتنان، ويستهويها هذا العَرض الرائع، وأثناء استراحة الفصل الأول يُرَحب بها أحدهُم...

دكتور «أحمد عزت»عميد كُلية حقوق طنطا سابقًا، والذي كان قد قام بالتدريس لها فى فترة دراستها بجامعة طنطا... يتبادلان سَويًا الحديث والذكريات، وينتهى العَرض علي تَصفيق حادّ من الحضور، وسعادة غامرة في قلب «سوزى» بفرحة وفَخر»عَم أمين بابنه».

تَعود إلى مَنزلها حاملة في قلبها كُل الود لمن قابلتهُم في تِلْك الأُمسية الرائعة للعرض المسرحى.

ثم تُقرَر بعد مرور أسبوع أن تكون بالإسكندرية أثناء أجازتها الأسبوعية، وتَذهب للاستجمام لمدة يومين لا أكثر...

تمنت أن تَكون إقامتها بفُندق علي طريق الكورنيش، وقريب من المسارح... لأنها تُرِيد الاستمتاع بالعروض الموسمية المتاحة علي مسارح الإسكندرية.

فتقرر أن تَتصِل بصديقتها «هند» تخبرها عن موعد وصولها بعد غد...

لتجدها في قمة سعادتها لأنهما أخيرًا ستلتقيان.

صباح جديد...

تستعد فيه «سوزى»لإعداد حقيبة سفرها... تقف حائرة أمام

دولاب ملابسها... لتتخير منها المناسب للصباح و للمساء.

ثم تأخذ ما يناسبها من حقائب وأحذية مضافًا إليهم الإيشاربات والاكسسوارات.

فهى حتى هذه المرحلة العمرية تهتم بكل التفاصيل، وكأنها لازالت بأحاسيس فتاة بعشرينيات العُمر... بمشاعر الأنثى تدقق فى كُل الأشياء، لكن الفرق الوحيد الآن هو مراعاتها للمرحلة العمرية التى تعيشها.

تتذكر وهى تُكمل وضع أغراضها بالحقيبة، زميلات قلائل معها بالعمل لم يدركوا معنى جمال التمتع بقيمة من قيم الحياة... فلم يَكُن لهن حظًا منها.

إنها الأناقة التى تفتقدها الكثيرات من فقيرات الذوق والفكر، واللّاتى يستكثرن عليها كُل النِعم الظاهرية التى ما أخفتها يومًا عن أعينهن.

إذ كانت دائمًا أنيقة الجمال، وكانت كُل خطوة من خطواتها نجاح يتلوه نجاح لسنوات، وهذا كان سرًا آخر من أسرار جمالها وحقدهن عليها.

كذلك كُنّ يعددن عليها أيامها، وسنواتها، غير مُدركات أنهن

يظلمنها حين يزدن على عمرها سنوات من خيالاتهن المريضة، متناسيات أنها تزوجت وصارت أم بينهن، وهى فى سنّ صغير جداً.

وعلى الرغم من كُل معاناتها مع «رفيق» إلا أن إحداهن لم ترَ منها غير الوجه الناجح والمشرق من حياتها، حتى زميلاتها المقربات.

أما الأخريات فقد كانت و مازالت تعاملهن معاملة حسنة، باقية على عِشرتها بينهن، ولا تعطى بالًا لتلك النظرات والتصرفات الحاسدة.

تبتسم مع ذكرياتها... ثم تُغلق الحقيبة بعدما انتهت من إعدادها، ثم تبتسم أكثر... وأكثر، وهى تسترق السمع وتستوقفها الكلمات...

إنها فيروَز...

إحدى طقوسها الجميلة والمحببة لنفسها.

فهى لم تزل أيضًا فيروزية الصباحات... تضحك وتستوقفها الكلمات.

وهَديتِني وردة ...

فِرچيتا لصحابي...

خَبيتا بكتابي...

زَرعتا ع الِمخّدِه...

يستوقفها أنها ستتخطى أربعينيات العُمر، ولازلت تتغنى بذات الكلمات منذ أيام الصبا، والغريب أنها لم يستوقفها يومًا شعور خاص ناحية أحدهم... أو أنها تنتظر أحدًا بعينه أن يُهديها الوردات... فهى حقيقةً لا تعلم لمن كانت ومازالت تغنيها؟

ثم تقول بهمس... «يا الله تُري ما سر تعلقى بتلك الكلمات الذائبة في عِشق فلان... ومن يكون هذا الذي لا أعرفه... وما زارنى طيفه يوما ما... ولم أبحث إطلاقا عنه!

حتي أنى لم أكن أنتظره في ليالى أحلام وردية ككل صديقات الصبا.

و لماذا لم أسمح للعمر أن يحيا بكل تفاصيله، و رحابته، و براءة شقاوة أيامه؟

أو أن يرسم عمرى الصغير وقتها علي رواء صورة لفارس الأحلام كبقية صديقاتي؟

ومن هذا الذي حطّ علي رأس سماوات حياتي فى لحظة سارقة لاختطاف الفرح من حياتى، فما رقّ له قلب علي خالي مّعه... وإلا راق له يومًا أن يرحم أجمل سنوات عمري، متغافلًا عن عّمد أبسط حقوقى الواجبة عليه... منها علي سبيل المثال لا الحصر...

أن يمنحني بعضًا من أمان، أو راحة بال...

فليسامحه الله»

يا الله...

أخذتنى الحكاية كالعادة، وها أنا انتهيت من كُل مسئولياتى كما رتبتها.

سعاد اعتذرت من يومين عن المجئ لمساعدتى، لظروف سفرها الطارئ لبلدتها الريفية.

وها أنا ذَا قد فاتنى ميعاد قهوتي المقدس.

لقد اعتدت عليه من يد «سعاد».

أسرعت إلى المطبخ لإعداد القهوة بيد، ويدي الأخرى مشغولة بالكاسيت... أرفع صوته رويدًا رويدًا، وأسمعها بلهفة وشوق... «فيروز» لازالت تدندن على أوتار قلبى:

فتكمل عندى متعة إحساس القهوة.

فيروز كقهوتى... صبوحة الطلّة... هادئة الحضور.

دقات الموبايل تُخبرنى من بعيد أن أحدهم يتصل بى...

تِلْك الدقات التي تتغير بفعل فاعل، وعلى الرغم من أن هذا الفاعل قد كبر وسيتجاوز العشر سنوات، إلا أنه ما إن يدخل فى

يدها حتى يمسك بالموبايل حتى أنى لم أعد أنتبه لأى اتصال سوى بالصدفة.

إنه ابن «سعاد»...

فليسامحه الله هو الآخر...

هههههههه

أخرج من المطبخ ممسكة بصديقى حلو الصُحبة في يدى، فنجان قهوتي»، وأدخل مُسرعة إلى غرفة الليڤنج روم و كعادة قلبي الذي يَشتاق إلي أن يَحتضن أريكتي المطلة علي حديقة الورود، أحاول وضع قهوتى على الطاولة أولًا، ثم أجلس لأجد صوته قد صمت وهو قابع يجاور قهوتى على الطاولة.

ثم هاهو يعاود دقاته...

إنه ذات الرقم الذى دق قبلا...

رقم غريب

أنا: ألو...

وصوت سيدة يهمس علي الطرف الآخر، وبلكنة غير مصرية تحدثنى:

- صباح الخير...

أنا: صباح الخير...

مين معايا يافندم ...

السيدة:

- أنا «ميرال».

ممكن أكلم مدام سوزى ؟

- أنا سوزى...

١٣
إلهى ليس لى إلاك عونًا .

فكن عونى على هذا الزمانِ .

رفيق... أنا هُنَا... حَيث لا مهاترات... حيث لا وجع... حَيث لا أنت.

زيارة «ميرال»المفاجئة... أرجعتني لآلام معك، بعدما ظننت أنى قد شفيت منك... وذكرتنى بِسُخف مفاجآتك.

فأتيت إلى هُنَا...

أتيت أستجير، وأنتشل روحى من فوضى أوجاعك، قبلما تهوى بى لمنحدر سخيف لكم أوقعتنى فيه، وأنت حي تُرزق، وها أنت توقعنى فيه حتى وأنت غَائب، ولا يَجوز فيك سوى المزيد من الدّعوات بالرحمات.

أتَذكُر هنا ؟

هنَا متطلباتى الإنسانية البسيطة، عظيمة القيمة الوجدانية بالنسبة

لى... والتي لم تُدرك قيمتها أنت أبدًا... فا لتزمتها أنا وواظبت عليها جدًا، بينما كُنت تغار منها جدًا أنت!

هنا بلسم الروح... هنا طُقوسى الدينية، ومن البديهى ألا تؤرقك فكم تملكتنى الدهشة، وأنا أراك تخترع العقبات التي تحول بينى وبين هذا المكان، كلما كنت تراني أتلهف عليه ما بين الحين والحين .

أكان ما يزعجك إلي هذا الحد أنك ربما كنت تشعر أنى أَفِر هنا لأغتسل من حماقاتك؟

وها هي حماقاتك مازالت تُعذبنى وتلاحقنى، ولم أعُد أملك الفرار منها، حتى وأنت يواريك التراب سامحك الله.

رفيق...أتسمعني؟

أنا هُنَا... عَلني أقدر علي لملمة نفسى، وتهذيبها...

قبلما أقع في المحظور، وانهال عليك بالسباب والدعوات الملعونة، وأنت بالأكيد في أمس الحاجة لطيب الدعاء والغريب أنه قدر غضبى، واشمئزازي منك، ومن مواقف كثيرة منها ما طال الشرح فيها، ومنها ما يستعصى على البوح به.

تجدني لا أقدر على الدعاء عليك، لا أمامك و لا من خلفك حتى وأنت بعيد، ولن تطولنى أبدًا...

لا يطاوعنى قلبى الدعاء عليك... لا تنتفخ بالغرور كبالون امتلأ بالهواء!

انتظر... فأنت تعلم جيدا أنى لا أخاف منك ولا من غيرك...

ولا أخشى غير رب كريم .

وكثيرًا ما اندهش منى... فكيف لي أن أتماسك، وأكظم غيظى إلى هذا الحد؟

أتدرك أنى كلما أتيت إلى هنا أدركت أن هذا هو رضا الله الذى يسكبه بالقلوب...

فرضيت، لكن العين رغم الرضا بما يأتى تذرف الدمع مرغمة وأظن بعد ما حدث بالأمس أنه لن يجف أبداً.

ونداءات بالقلب تبتهل لمن يعلم سرى وعلنى، كلما ضاقت بي السُبل منك.

فأفر إلي هُنَا... مسجد «السيد البدوي».

رفيق... من ميرال تلك؟!

أحقا كما أبلغتنى هي... أنها زوجتك منذ أعوام كثيرة مضت؟

وأن صبرها عليك كُل تلك الأعوام كان أسبابه المصلحة... وفقط.

فكما روت لى أن ما كان يجمعكم هو مُتطلبات الوظيفة المشتركة التى كانت بينكم.

فقد كانت «ميرال»هى المسئولة عن فرع الشركة بلبنان... أيام كنت أنت المدير المالى للشركة بمصر.

وأثناء زياراتك المتعددة لفرع الشركة بلبنان، ما كُنت أظن للحظة أنك كنت تتركنا أنا والبنات لأجل امرأة أخرى متحججًا بالعمل والمسئوليات... على الرغم من علمى بنزواتك الكثيرة!

لكن لبراءتى المعهودة، ظننتك ستبخل على الأقدام على خطوة الزواج من أى امرأة... وتناسيت أنه رُبما تجمعك المصالح المادية والشخصية بزيجة ما!

ولسوء نيتك أوقعك القدر بمن هى أكثر بخلًا، بل وأكثر جشعًا منك!

إذ أنه بعد حوار سخيف، فهمت أنها أتت لتساومنى بشيك يخصك أنت بمبلغ مائة ألف جنيه... ادعت أنك كنت كتبته لها مؤخر صداق وأخذَت تلوّح به فى وجهى بصفاقة بعد أن أخرجته من حقيبة يدها...

قائلة:

- بعد ماوصلنا لنقطة اللارجوع...

قررت انى ما اتسرع وارفع عليه قضية طلاق.

ما تتخيلى «سُوزى» أنا صبرت أد إيه؟

واتحملت قرفه أكتر من خمس سنين.

للأسف عشت فيهم على أعصابى مع راجل كُل مافيه سيء!

كان متخيل إنى هايكون نفسي قصير... واسلم وارفع راية الاستسلام وأتنازل عن مؤخر الصداق.

هههههههه ... شو ها المجنون كان متخيلنى؟

سُوزى لم تسعفها الكلمات لتستوقف «ميرال»عند أى جملة قالتها من فجاجة ما سمعت، ثم حاولت أن تستجمع قواها لترد بشراسة على من اقتحمت حياتها فجأة كى تستنزفها هى الأخرى، فاستأذنتها بالدخول للمكتب كى يتثنى لها أن تطلعها على كافة الأوراق التى كان آتى بها «راشد» قبلا ليثبت إفلاس «رفيق» وتخارجه من الشركة،

كذلك أطلعتها على الملف الخاص بالقضية التى كانت قد رفعتها على راشد، لتخرج «ميرال»من بيتها وحياتها نهائيا خائبة الرجاء...

سُوزى تُغلق الباب ورائها... فتبدو للحظات شاردة تحادثه وتقول:

«- تُراك كنت تخدعنى، وتخدع بناتنا بأنك فى مهمة عمل رسمية؟

لا أنت كنت تخدع نفسك، ولا تخدعنا!

طبعا أنت كنت تعلم أنها لن تُطيق لك عِشرة أطول من ذلك، فطلبت منك أن تخرج من حياتها غير آسفة عليك!

وامتثلت أنت أيضا غير باكٍ عليها!

خاصة أنه ليس هناك ما يستدعى البقاء.

فهى لم تكُن بغبائى، فقررت ألا تُنجب منك أطفالًا بعد عشرتها لك، واكتشافها المذهل بأنك لا تُطاق!

أو ربما تكون تنبأت أنهم سيصيرون يوماً ما مثلك؟

وبخاصة أنها هى أيضا مثلك تماما.

هل تصدقنى أنها تُشبهك إلى حدّ كبير؟

فهى انتهازية، تُجيد استفزاز الآخرين.

فقد فَرضَت نفسها على بيتى، ولم تُبلغنى مسبقا بموعد الزيارة وحين أَتت ظلت تُمطرنى، وتُلاحقنى بنظراتها السخيفة منذ أن وقعت عيناها على... ولم أجد تفسيرًا لكل هذا التمحيص والتفحص سوي بعدما عَرفَتنى بنفسها.

فهى أثناء المكالمة فاجأتنى بأنها فى الطريق دون أن توضح لى من

تكون، كل ما ذكرته أثناء المكالمة أنها زميلتك بالعمل لفرع الشركة بلبنان... ومن سنوات لم تزور مصر، وفورعلمها بخبر الوفاة من زملاء بذات الشركة كانت تجمعكم بهم صداقة فأرادت أن تُقدم واجب العزاء لزميل العمل.

اندهشت... فأى واجب عزاء هذا الذى يقدم بعد كُل تِلْك السنوات.

والأدهى أنها كانت تعرف عنوانى، وتليفونى مثلما عَرفت قبلهم زوجى، وتزوجته دون علمى»

تتوقف سُوزى عند باب المطبخ... فتدخل لتحضير فنجان من القهوة وتحاول أن تخرج من تِلْك الحالة.

ثم تعاود حديثها ل «رفيق»وعلى وجهها ابتسامة ساخرة تُكمل بها الكلمات... وفى يدها قهوتها بعد أن انتهت من إعدادها، قائلة:

«- ألم أقُل لك أنها من طراز الزلازل المدمرة مِثلك تماما؟»

١٤
والله ما طلعت شمس ولا غربت...
إلا وحبك مقرون بأنفاسى...

تعود «سُوزى» إلى بيتها... تدخل إلى غرفة بناتها... فلكم اشتاقت لأحضانهما، أن تشفيها...

تتصل بكل واحدة على حِدة، لتسمع صوتهما، فتهدأ، ولا تبلغهما بأى شيء عن تِلْك المرأة التى كانت زوجة أبيهما، فقد اعتادت ألا تعذبهما بالشكوى من أبيهما مهما كان يبدر منه... كفاهم سنوات الشقاء التى عاشوها معه فى سن صغيرة وأثناء مرضه.

تتنهد فى صمت، وتغلق وراءها باب غرفتهما، وتذهب إلى الليفنج روم... تفتح التلفاز... ثم تغلقه على الفور.

تشعر بأنها تحتاج أن تأوى بغرفتها... ثم تقوم بتغير ملابسها وترتدى بيجامة حرير سوداء، وكأنها كانت تشيع «رفيق» مُنذ لحظات لمثواه الأخير.

ثم تهمس فى صمت أمام المرآة لتحادث نفسها، وتحادثه ثانيةً:

« أتأمل نفسي في المرآة كثيراً لا لأتباهى بحُسن أو زينة! لكن لأرانى... وأرى عِقد الأيام المنفرط حباته... وكيف أنه لاحيلة له مع حظ عنيد، لا يعيره بالًا... فلا هو يحن عليه بالتفاتة سعادة عابرة تؤكد حق وجودى قيد البقاء، و لا هو يرفع راية الاستسلام، وينحنى، خاصة بعدما صار وجودى يتمرّغ على طرقات عذاباتى معك مُنذ أزعجت براءتى باكرًا جدًا بصدمات عنيفة أربكتنى وخيانات أكثر وأكثر هزمتنى، وأصبح لا حيلة لي في أي حياة تمنيتها سوى بالهروب منك؛ وكأني أيضاً أراني كل صباح إحدى تلك الوردات فواحة الشذى، والتى تُنثر عبيرها للجميع عداها، مائلة علي غصن يتراقص في حلاوة روح، وها هى تحيا كُل يوم من جديد بعد طول ليل عنيد... يومًا جديدًا».

تحاول «سُوزى»تأجيل سفرها...

فتتصل بهند...

سُوزى:

– صباح الخير هند...

هند:

- صباح النور حبيبتي...
بانتظارك من بدرى...
إوعى تتأخرى...
معقول هاشوفك خلاص...
والله ما مصدقة نفسى يا سوزى...
سُوزى فى خجل شديد تقول:
- مكن تسامحينى...
صعب جدًا سفرى اليومين دول...
ممكن نأجلها؟
هند فى حُزن شديد:
- ليه كده ياسُوزى؟
ده أنا باعدّ الساعات...
سُوزى:
- ظروف!
هند:
- أنا هازعل جداً يا سُوزى...
سُوزى تشعُر بالحَرج من صديقتها، وبخاصة بعدما لمست حزنها وتأثرها الشديد؛

تقول:

– طيب بأذن الله ومن غير زعل... الخميس الجاى أكون عندك...

هند: اتفقنا.

سُوزى تحاول أن تخرج نفسها من تِلْك الحالة النفسية السيئة جداً التى عاشتها مُنذ زيارة «ميرال»لها، وكلما حاولت أن تنسى، تجبرها تفاصيل الزيارة السخيفة على التذكر، على الرغم من أن تِلْك الزيارة كان لها الكثير من التفاصيل المضحكة إلا أن الوجع هو الذى يتربع بعد ذلك عرش مآسى رفيق المهداة إليها مابين الحين والحين،

تمر الأيام عليها وهى تتذكر المقابلة...

هامسة تحادثه وهى ممسكة بصورته: «هستيرية ضحك تتملكنى، بعدما خرجت ميرال من باب المنزل مُباشرة.

أتعرف ماذا يُضحكنى رفيق ؟

إنها ميرال.

ففى لمحة خاطفة... وهى جالسة أمامى، رأيتها امرأة علي قدر كبير من الجمال والعذوبة رغم تخطيها أعتاب الأربعين من العُمر؛ إلا أنها لازالت تمتلك عيونًا جميلة ذات نظرة ناعمة تُضيف لإشراقة وجهها طَلة خاصة.

ثم من خلال حديثها عنك وعن تصرفاتك الغير كريمة، تجدنى أُشفق عليك مما أوقعت فيه حالك باختيارك لامرأة عديمة الإحساس، فهى حتى لا تشعر أن كلامها في هذا التوقيت بالذات ومن أول لقاء بيننا وأظنه سيكون آأخر لقاء فى غير موضعه، وغير لائق .

أشفقت عليك لأنها لم تستشعر المغزى الإنسانى لمعانى إنسانية تذكر فى تلك المناسبات «أذكروا محاسن موتاكم».

على الأرجح هى جاءت لتُقدم واجب العزاء فى علاقتنا بما تعمدت أن تخبرنى به،

على الرغم من تأخر مجيئها، كان سياق الحديث يصدمنى فيها تارة، وفى اختيارك لتلك المرأة تارة أخرى .

ثم تستفزنى وتداهمنى بنظراتها التي تُثير الدهشة، لا والتى جعلتنى أُشفق عليها، مثلما أُشفق علي تلك النوعية من النساء شديدات التطفل حد الغباء.

فصرت أنا في لحظات من كثرة إشفاقي عليكم كالمناديل المبللة بالدموع، بل وأكاد أن أعتصر وأتساقط مطرا من شِدة الإحراج.

وجدتها كالكثيرات المنتميات لحزب الأنا العُليا، وهو حزب نسائى شديد التفاهة، وأهم الشروط الواجب توافرها للمنضمات إليه، ألا

ترى إحداهن أخرى تفوقها في الكثير من المظاهر التافهة، وهو ما يُسمى بظاهرة «الغرور المرضي» الناجم عن انعدام الثقة بالنفس، فتجد الواحدة منهن كلما جمعتها الصُدف العابرة، أو الأماكن بامرأة أخرى، فحصتها من أعلى رأسها حتي أخمص قدميها... بمنتهى الدقة، غير مُتحرجة على الإطلاق من خجل واندهاش المرأة الأخرى.

ذكرتني «ميرال»بحماة ابنتنا «سُهى»يوم التقتنا فى أول تعارف بيننا، نفس النظرات المخترقة المستفزة وكأن العقول وما تحويه لا تشكل أى أهمية بالنسبة لهؤلاء، وأن الأهم هو المظهر وفقط.

هههههه... بصراحة مسكينة المرأة التي يوقعها حظها العاثر مثلى بين تلك النساء.

اااااه لقد رأيت من البشر الكثير، وهو ما جعلنى أستشعر ما داخل النفوس والعقول من أول نظرة للعين.

فالعين لا تكذب أبدًا... العين يا عزيزى مرآة حقيقة القلوب لكأنى أراك تُشفق علىّ من فلسفتى لتلك التفاهات يا عزيزى المأسوف عليه أنا أفضفض معك لا أكثر عن بديهيات نسائية.

أظنك كنت ستصبح أكثر سعادة لو كنت أنا التي تلاحق «ميرال» بالنظرات، من باب الفضول والغيرة التى تأكل قلب المرأة

التي تزوج زوجها بأخرى!

لكن الحمد لله أنني لست كذلك و أنت تعلم ذلك جيدا... هذا الغباء أنا فى غنى عنه.

أكره تِلْك النساء التى تتناحر بكل ما أوتيت من قوة لأجل رجل وخاصة لو كان يتمتع بكل حماقاتك، التي تنفر أي امرأة تمتلك مشاعرها كى لا يُهينها أمثالك.

هههههههههه... تُري هل أنت يا رفيق تستحق هذا العناء وهذا الاقتتال؟

لا أَظُن.

نعم مازلت أمتلك أمرى... وتأخذنى تفاصيل بالحياة أكثر عمقًا، أعيش فى رحاب تِلْك النفوحات النورانية، فأهيم عاشقة فى دنيا الله وكلى يقين أن أيامى ستمطر فرحا،

أحتضن قصائد شِاعر الصوفية الحلاج 1

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت
إلا وحبّك مقرون بأنفاسي
ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم
إلا وأنت حديثي بين جلاسي

ولا ذكرتك محزوناً ولا فَرِحا
إلا وأنت بقلبي بين وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش
إلا رَأَيْتُ خيالاً منك في الكأس
ولو قدرتُ على الإتيان جئتُكم
سعياً على الوجه
أو مشيًا على الراس

١٥
من أد أيه... كنّا هنا؟

سوزى بطريقها للإسكندرية، تقود سيارتها، وتراودها ذكرياتها الغالية التى ظنت أنها قد ذهبت أدراج الرياح، لكن هاهو الزمان يحن باللقاء.

كانوا أصدقاء الطفولة والصبا، وكانوا يقضون سوياً أمتع الأوقات.

تتذكر «مُهاب» وكيف كان يشاركها وهند أخته أوقات كثيرة سواء فى اللعب على البحر وهم أطفال، أو تبادل القراءات المختلفة فى مرحلة الصبا، وكيف كانوا جيرانًا محبين لبعضهم البعض.

ظل معها طَيف الذكريات، وصوت أغنيات مجمعة للموسيقار «محمد عبد الوهاب» بموسيقاه الحالمة لتستوقفها كلمات أغنيته الجميلة...

من أد إيه كنّا هنا...

من شهر فات ولا سنة...

ثم تبتسم... وهى تعد السنوات التى ما رأتهم فيها، لتكتشف أنها صارت زمنًا طويلًا.

تصل إلى الأوتيل الذى كانت حجزت للإقامة به كما تمنت، ثم ها هى تصعد لغرفتها بالأوتيل، تضع حقيبة سفرها، وتطلب مشروبًا باردًا، ثم تدخل الشُرفة المطلة على البحر وتكتب...

«أتمنى أن تغمرنى مشاعر الرضا دومًا، رغم كل ما كان، لأرانى حتى وان فرّت سنوات العُمر رغما عنى، سأظل هذه الطفلة التى تلهو ما بين أروقة الزمن، ولن أتعجل لحظة رجوع.

فى منزل هند...

كانت هند تريد أن يأتى مهاب لتمضية بعض الوقت معهم... إذ أنه كلما كان يَمُر طَيفه أمام عيونها وهو يصطحب معهما الذكريات... كلما عاودها الحنين إليهما معًا...

وقبلما تصل «سُوزى» إلى الإسكندرية؛ كانت بادرت بالاتصال به:

هند: وحشتنى قوى يا مُهاب.

مُهاب: وحشانى أكتر يا هند.

طمنينى عليكى.

هند: أنا بخير ليا طلب عندك.

مُهاب: أامرى.

هند: حبيبى...عندى مفاجأة حلوة جدا.

مُهاب: خير.

هند: سُوزى عبدالله.

مُهاب: هههههههههه.

ياااه يا هند.

تلمس هند مدى سعادة أخيها بمجرد ذكر اسم سُوزى.

مهاب: فعلا مفاجأة جميلة.

فرحت جداً أن مجدى قابلها وطمنى عليها.

تستشعر هند كُل كلمة يقولها أخيها.

هند: الحمد لله إننا كلنا بخير.

مُهاب: إيه طلبك حبيبتى.

هند: عايزة أشوفك... وحشتنى.

مُهاب: و إيه علاقة ده بسوزي.

هند: سُوزى هاتكون هنا خميس وجمعة، ممكن تيجى نشوفك و نتجمع زى زمان.

مُهاب: ممكن يا حبيبتى.

هاكون معاكم بإذن الله.

تُغلق «هند»الهاتف، وتأخذها الذكريات... ثُم تراهم أمام عينيها، وترى بيوت الرمال، وكم بنُوها سَوياً على الشاطئ وهم أطفال.

كان يكبرهم «مُهاب»بعامين... وما إن يراهم على الشاطئ حتى يترك شلة أصحابه، ويأتى إليهم مُسرعًا كى يكمل معهم بناء البيوت.

أما أخوها «مجدى» فكان أصغرهم، ولا يترك كرة القدم من قدميه... وكان يشاركه اللعب «وليد»زوجها الذى كان جارهم أيضًا ومعهم «على» أخو «سُوزى».

وليد وعلى كانوا أكبر من مجدى... كانوا زملاء مُهاب بالفصل الدراسى.

تضحك هند وهى ترى نفسها وتراهم في مرآة الذكريات... وكأن السنوات مازالت واقفة عند الرمال هُنا، ليأتيها وليد...ينادى عليها.

وليد: يا هند أنا واقع من الجوع... الغدا جاهز؟

هند: هو غدا خفيف يا لول...

ثوانى ويكون علي السُفرة يا وليد.

وليد: خفيف... خفيف

كل حاجة واى حاجة منك يا حياتى جميلة... تسلم إيديكى.

وليد زوج «هند» صار مُدرب كُرة قدم بنادى سموحة بعدما أعلن اعتزاله مُنذ سنوات علي أرض نفس الملعب الذى كثيرًا ما احتضن أفراحه وأحزانه مع كُل مُباراة كان يفوز بها أو يخفق.

لم يُرزقا بأولاد، لكنهما قد رُزقا بالكثير من أرزاق الدُّنيّا كالحياة السعيدة المستقرة، والتفاهُم الدائم، وأصول الشراكة الحقيقية فاكتملت بهم ومعهم أسمى معانى الحياة!

مساءاً...

تصِل سُوزى إلى منزل «هند» بحى سموحة...

بعدما غادرت الأوتيل.

تستقل الأسانسير للدور السابع تصل لشقة صديقتها... وتدق الجرس... تفتح «هند» لباب وهى غير مُصدقة عينيها أن سُوزى أمامها الآن وفى بيتها.

تضع «سُوزى»علبة أنيقة من الشيكولاته على الطاولة الكبيرة التى تتوسط البهو الأنيق للشقة.

تشعُر «سُوزى» أن كُل ما فى هذه الشقة يبعث على الارتياح...

ثُم تهدى صديقتها صُحبة رائعة من الورود التى انتقتها بعناية، تشكُرها جداً «هند»وتحتضنها...

وتقول: زى ما انتى يا سُوزى زى القمر...

ماتغيرتيش...

تبتسم سُوزى وتقول: انتى اللى عنيكى حلوة..

وانتى كمان ما تغيرتيش... لِسَّه جميلة زى ما انتى... ولسه ضحتك الحلوة بتفكرني بأحلى أيامنا.

ثم يَحضر «وليد»زوجها مُرحبًا بصَديقة الطفولة.

يَمر عليهم بعض الوقت الذى قدم فيه «وليد»مشروب الليمون المنعش بالنعناع.

يَدق جرس الشقة... يقوم «وليد»بفتح الباب مُرحبأَب»مُهاب».

«سُوزى» أدهشتها المفاجأة السارة، وأربكتها فى آن واحد...

«هند»أحبت أن يكون مجيئه مفاجأة لها...

يَمد «مُهاب» يَده بالسلام إلى رفيقة أيام السلام المفتقد... وها هى تُبادله السلام بابتسامة دون كَلام...

تفتح هند معهم صندوق الذكريات... وتنعش معه ذاكرة القلوب.

يتناولون جميعا مشروبهم السكندرى المحبب إليهم...

تستمع «سُوزى» بشرب العِناب المثلج بينهم فلكم اشتاقته... ينسحب وليد وهند، لتحضير العشاء... ليتبادل مهاب وسُوزى بعضًا من كلمات بسيطة يشوبها الخجل الذى غالباً ما يُصاحب اللقاء الثاني من بَعد فُرقة طويلة وعَنيدة السّنوات ليجلس الجَميع بَعد ذلك علي طَاولة العشاء، يتبادلون الحديث عن أطباق الأسماك المختلفة... شهية المِذاق التى أعدتها هند وزوجها، يذَكِرهم «مُهاب» بأطباق أمهاتهم الشهية... فتبتسم «سُوزى» ابتسامة حزينة، استشفوا منها أنها مثلهم تشتاق لأيام لن تَعود! فأتاها هو نَظرة خاطفة من عينيه فرت منه دون استئذان لترد إليها حنان تِلْك الأيام.

تَنتهى تِلْك الأمسية لتستشعر «سُوزى» أنها كم كانت تحتاج تِلْك الأمسية...

ولكم افتقدت هذا الدفء مُنذ الشهور التى فارقت فيها بناتها فَهى من حِينهَا لم تأكل بهذه الشّهية.

تعُود إلى الأوتيل سَعيدة جدا بصحبتهم، التى أفتقدتها مُنذ سنوات.

فعَودتها من لِقَاء جيران وأصدقاء أيام زمن الطفولة والصبآ البرىء، أعادت إليها إحساسها بالأمان.

وكما كان حالها، كان أيضاً حال «مُهاب»حين عودته من سهرتهم، فكلاهما تستوقفه الأيام.

يعود «مُهاب»هو الآخر ليبيت ليلته بمنزل العائلة القديم، يدخل إلى حُجرة نومه، يحاول أن يغمض عينيه بعد يوم سفر طويل، ليغفو على صورتها التى وكأنها ما غابت.

إذ كانت تروح وتجيء على مهل سنوات عز فيها اللقاء، لتُخبره هذه الليلة أن عيون القلب الحالم لم تكُن فاقدة للرؤية أبدًا.

ثم يتساءل فى تعجل حائر «تُرى هل وصلت إليها ولو رسالة واحدة من رسائلى وأفاضت بهذا الزحم فياض الكلام الذى كان قديما يخشى البوح، والذي ما أغمضت عيون القلب عنه للحظة منذ كان هذا الطفل البرىء، وكانت هى هذه الطفلة الجميلة حتى هذا المساء...

هذا المساء الذى محا أى فراق، وكأنه ما كان بينهما أبدًا بعاد لا للزمان و لا للمكان.

على الجانب الأخر كانت «سُوزى» تستدعيها اللحظة لتأخذها هى الأخرى إلى هناك... وها هى تحاكي السطور فتكتب «أتعرف أنه ليس للمشيب عُمْر... وأن هذا العُمر حرام أن يُحتسب بِدقات

السنوات علي جِدار الزّمن...

أتعلم أن للمَشيب قَلب كَسرتهُ غُربَة الأسفَار، وشَيبهُ التِرحَال العليل عَبر قلوب جَدباء... فَخَفقت نَبضاته بعدما عَذبها الحَنين لبعض من لحظات ارتواء، وأعياه ما ضَنت به الأيام عليه من روَآء، فظن أَنه لا نَجَا بَعدما أُلقوا به لأرضٍ حدودها قحط وظلالها لهيب عذاب»

١٦
لا تسألونى ما اسمه حبيبى...

كطفل هذه الترحال علي عتبات لا تُشبهه...!

وأرقه الدقّ علي أبواب لا تُطمئنه...!

بعدما أوجعه من لم يُقّدر أبداً خطواته الرحبة من حنان... كان يتوقف فيها لتطيب خاطر حبات عقد الأيام.

ستجد أمثاله الكثيرين، وستجد أن حياة كل واحد منهم مثال صارخ للوجع...

فتراه وتراهم من هؤلاء الذين ظنوا خيرًا واطمأنوا للأيام أو رُبما أملوا فى أن تزورهم حياة تحمل إليهم راحة البال.

لكن وعلى غير توقُع منهم، يكتشفون أنه قد انزلقت أقدامهم على حافة هاوية، فيؤلمهم أنهم قد أربكهم ولو لبعض الوقت المسير؟

أو ربما كان يخشى أحدهم على مَّن ارتضى التواجد بتلك الحياة من أجلهم، الدخول فى أى تجربة أخرى.

وهَذا ما قد يَجعل حياته كُلها رَهن جَميعهم عَداه.

وهاهو واحد من هؤلاء... يَلتقط أَنفاسه كُلما تَهاوت علي حافة ذكرياته المؤسفة جدًا معها، وقبل أن يَسكنه هذا النَدم الزائر دومًا أيامه ولياليه، تَختطفه نَسمات رائعة البَسمات، على الرغم من أنه مازال يَقف حائرًا على قَارعة الطريق، وهاهو العُمر بدأ ينفرط منه أولى حباته الخمسين، إلا أنه سعيد أنه يَمتلك اللحظة الآن، ويكفيه أنه يتنفس شهيقًا حُرًا عَلي رَواء.

يتذكر»مهاب» فترة تخرجه من الجامعة وزواجه من»هناء» إذ بعد فترة قصيرة من الإعجاب المتبادل بينهم... والتى لم تَكُن لتفاصيل مَشَاعِر الحُب الحقيقى التى تَمناها، وعَاش على أَمل أن يَحيا أَيامها مكان بينهم.

بعدما جَمعتهم ظروف العمل فى إحدى المؤسسات الاقتصادية فصار الاختيار على أساس الرؤية السطحية لأبعاد الصُورة هو الذى أسرع بإتمام الزيجة، لكنه لم يَكُن أبدًا كافٍ لنجاح حياة زوجية بينهما.

لم يُدرك «مُهاب»حِينهَا أن للتكامل الإنسانى بالبدايات شأن آخر؛ وأنه هام للحُكم علي أشياء جَوهرية بين أَى زوجين لاستمرار علاقة ناجحة.

يختنق كلما تذكرها، فلم يعد صبره بالرحابة التي كان عليها من قبل.

يحاول أن يتناسى، ويتناول قهوته مغلقا صفحتها فى شُرفة مَنزله، تاركًا وراء ظهره ما لم يعد قادرًا على تَحمله.

وما لم يشأ أن يشاركه أحد أعباؤه.

فيقف من جديد مشدود القامة علي تِلْك الصفحات التى وضعها تحت قدميه، وطوتها معه السنوات، ليعلن لنفسه فى كُل يوم أنه قَبل التحدى، ولن ينكسر، وتهزمه أيامها.

فى الأوتيل...

تَفتح «سُوزى»عينيها على إحساس جديد، تِلْك العيون التى غاب عنها لسنوات مضت أن تغفوعلى ذكريات بريئة الحواديت كما غفت بالأمس...

لتصحو سعيدة... تتعَجّل الصباح أن يُوقظ النائمين.

فَهى على مَوعد معهم... كَى يتناولوا إفطارهم على كورنيش الإسكندرية، في مَطعم «سيد درويش» الذى لم تغيره الأيام ومازال يقف منتظرً مُحبيه وعُشاقه، على ذات الشاطئ الساحر.

لم تُدرِك «سُوزى»أن «مُهاب»هو الآخر لم يَتم إلا سويعات قليلة...

إذ ظَل مُستيقظًا... شَاردًا مع تدابير الأقدار، التى مهما فَرقت فهى الوحيدة صَاحبة الأمر والنهى في أن تلملم أرواح سَبحت راضية فى ملكوت الله... ومهما طَال بها الأسي؛ لا تطولها يد اليأس أبدًا.

فهناك شئ ما غير هذا الهدوء الذى يَطرق على مَحطات قلوب أَوجعها زِحام الصيف، وزوبعة أيامهم، وسط هذا الحَشد الهائل من عُشاق الإسكندرية كُل عام.

شيء ما يأخذه هو بالذات من وسط كُل تِلْك الإرهاصات، شيء مُختلف هو الذى جَعل ليلة الأمس ليست كسابقتها من كُل ليالي العُمر التى أَتت ورَحلت دون مذاق.

كَذاك مذاق ذلك الإحساس الذى يجعل الاستيقاظ مُختلفًا، ويَجعل مَذاق القهوة الآن مُختلفًا، ويجعل الشعور بسبتمبر الرائع مُختلفًا، ليَصير أَكثر روعة ونعومة وهدوء.

يلف ويدور في شقتهم بالإسكَندرية، وكَأنه هذا الشاب اليافع الذى ما إن يستيقظ حتى يذهب مُسرعاً نَحو الشُرفة المُقَابلة لشُرفَتهُم، وكَأنها سَتُهدى الدنيا نسائم من رِقتها بَعد قَليل، فلا يَجد غير صَدى

الذكريات التى لم تَكُن تعلمها، بعدما أسكنتها أشواقه البريئة آنذاك في أحضان التمنى لُلقياها.

وهَا هى قَد أَتت...

أتت على مَهل الانتظار لسنوات وسَنوات... لكِنها أَتت...

أتت... وماعَاد شيء في هذه الدُّنيَا يَعنيه...

يَكفيه أَنها أَتت...

وسُرعان ما رَاح يَرتدى قميصه الأبيض، وبنطاله الچينز مُنتعِلاً هذا الحِذاء الرياضي الأبيض... حتى بدا وكأنه شاب ما إن رأى الحياة حتى راح يمسك بيديها ويصادقها من جديد حتى لا تفل منه ثانية.

يَستقِل السيارة ذاهبًا إليهم كما اتفقا بالأمس، ثم يُدير»سي دي» لأروع ما كان يقتنى بنفسه من مُقتطفات مُوسيقية وأُغنيات عَاشت مَعه تواسيه، وكأنهَا هى الأُخرى كانت لسَنوات مِداده للروح.

وعلى مُوسيقى وصوت «فيروز» يُدندن...

مع كلمات نزار قباني...

ألحان الأخوين رحباني:

لا تسألوني ما اسمه حبيبي

أخشى عليكم ضوعة الطيوب
والله لو بحت بأي حرف
تكدس الليل في الدروب
ترونه في ضحكة السواقى
في رقة الفراشة اللعوب
في البحر... في تنفس المراعي
و في غناء كل عندليب
في أدمع الشتاء حين يبكي...
و في عطاء الديمة السكوب
محاسن لا ضمها كتاب...
و لا أبدعتها ريشة الأديب
لا تسألوني ما اسمه كفاكم
فلن أبوح باسمه حبيبى...

وكأن الأرواح كانت تتلاقى خِلسة، دون أن تخبر «سُوزي...
حتى وصل أولهم، ومن قبلهم جميعًا إلى المطعم...
إذ لم يكُن وحده الذي يعيش تِلْك التفاصيل الناعِمة ويتمرغ مابين الحنين إليها.

فقد كانت «سُوزى»هى الأُخرى هُناك عِند ذاك الحَي الذى ضمّهُم، لكنها كانت هناك تستدعى الأمان، ولا شئ عداه.

تَرتدى هى الأخرى فستانًا هِفهافًا أبيض، وحِذاءً ناعمًا باللون الأبيض، ثُم تَجمع خُصلات شَعرَها المتموجة في عقد الياسمين بشريط من الساتان الملون ببهجة القادم من الأيام، وتطرح ذاك الإيشارب الشيفون الذى كانت اشتركت ابنتاها فى اختياره لها وها هى تختطف هناوة اللحظات... آخذة سلسلة مفاتيحها لتَذلقها بحقيبتها الأنيقة، والملونة ببهجة الأيام كشريط شَعرها الساتان تستقل أسانسير الأوتيل لتصِل إلى «الرِيسبشَن» وتَنطلق بسيارتها مُرتدية نظارتها الشمسية، تَطير كَفراشة يَسبقها إحساسها النائم في حُضن الاطمئنان بصحبتهم.

تَصِل «هِند»وزوجها «وليد» بَعد «مُهاب» مُباشرة ثُم تَلحَق بهم «سُوزى»...

يتبادلون ضحكات الصباح... والذكريات الحلوة مع فطورهم الهنيء.

ثم يحتَسون الشَاى بالقرنفل علي البَحر... وفى حَضور البَحر يَصمُت الكلام... ويتحدث الإحساس.

الْكُل يتأمل مآ مَضىَ على خير، ويُنتظِر ما قَد يأتى، على أَمَل.

ثم يتناولون القهوة، ويتبادلون ذكريات شقاوة هند أيام الدراسة، ثم يتحدث مُهاب عن «وليد» لاعب كرة القدم الذى استطاع أن يرمى بالكرة فى شِباك هند... مُتمنياً لهما السعادة.

تَنظر «سُوزى» إلى مُهاب بعدما خلع عن عينيه نظارته الشمسية دون أن تقصد، وكأنها ترى فيهما ما لم تَكُن تراه منذ سنوات طوال، وما خشيت بالأمس أن تقف عنده، وتقرأ رسائلهم...

فتراه كما كان...

وكأنه هذا الصبى الذى كان يشاركهم أشياء كثيرة محببة، وها هى ذات العيون التى كانت تصاحب الشمس فتشع بدفئها عليهم، وفى المساء حين كان يزورها القمر كانت ترسل إليهم النجوم فتهديهم سمر الليالى...

هامسة لروحها فى صمت...

«مُهاب لم يتغير، حتى تِلْك الخيوط الفضية التى مكثت لتحتضن شعر رأسه، أعطته حنانًا فوق حنانه الذى كنا نعرفه...»

ثم يعودون على موعد سيجمعهُم فى المساء.

١٧
أعز الناس...

وكما أخبرنا الأُمنيات أننا يجب أن نُصَدِق همس وشوشات البحر، وأن نؤمن بدندنة تراتيل الروح... حتى نمتلئ باليقين، أن القدر سوف يحن، ويُرْسِل أجمل هداياه الملونة بالأحلام وأن فراشات من حرير ستتطاير يومًا ما حولنا، فى لحظة فرح، حتماً ستأتى... فتعانق خطوات العُمر للحظات، وتغمرنا بكل ماتمنيناه.

أو رُبما تصبح تِلْك اللحظات هى حقيقتنا التى اكتمل لنا فيها معنى الحياة... تِلْك اللحظات إذا أهدتك إياها السماء؛ احتضنْها ونم فى أمان الله.

تشعُر «سُوزى» أنها لربما خرجت من بوتقة الأحزان حتى ولو للحظات، وها هى الليلة الأخيرة لسهرتهم.

تتخير في غرام قلمًا اشتاقته لأوقات، ولم تكُن تعيره بالًا.. ما سترتديه من ثِياب تُناسب سهرتهم الليلة.

يستهويها إحساسها بالسعادة مُنذ لحظات الصباح، وهاهو المساء أيضًا يلوّح لها بشرائط من حرير ناعمة الأحلام.

ودون أن تشعُر تحتضن فستانها الأزرق الفضفاض بعدما ارتدته أمام المرأة، ول اتدرى أنها تحتضن العُمر الغالى وما تبقى فيه من أحلام.

تتأنق بقرطها اللولى، الذى يتدلى فى دلال تلمحه العين خلف ايشارب من الحرير الأزرق طرحته على شعرها، فغطت خيوطه الذهبية ما يتراءى منه فى حنان... ثُم تذلف قدميها برقة فى حذائها الجلدى الأزرق... وممسكة فى يدها حقيبتها السواريه بذات اللون الأزرق.

تنهى ارتداءها لملابسها واضعة عطرها المفضّل «هوت كوت يور» لتفوح رائحته وكأنها توقظ العمر من غفوته وتعطر الأيام.

تتصل بها «هند» لتُخبرها بأنهم في انتظارها بالسيارة أسفل الأوتيل.

تصِل اليهم... وتعلو وجهها ابتسامة زارها الفرح توًا حين التقتهم.

مُهاب ينزل من سيارته ليفتح لها الباب لتجلس بجواره.

أما «هند» و»وليد» فيجلسان بالمقعد الخلفى.

يرحبان بها بود شديد..

يُخبرها «مُهاب»بأن هُناك مُفاجأة لها.

تضحك «هند» وتُداعبها:

- حَذّر...فزّر...

مسرح والّا سينما؟!

لتضُج السيارة بضحكاتهم البريئة .

وليد:

- هههههههه السهرة قلبت لعب عيال.

هند:

- وماله لعب العيال يا كبير هههههه.

«سُوزى»تأخذها الضحكات البريئة، والمنْطلِقة من أعماق قلوبهم الطيبة، لتنطلق معهم على جناح السعادة العائدة إليها بشوق وتذهب بها لمدن الفرح التى كم تمنت أن تلهو وتمرح بها منذ عمر طويل.

إنها مُدن شبيهة بملاهي ديزنى للأطفال، وذاك العالم الساحر الفضفاض من المرح.

حتى توقفت بهم السيارة أمام مسرح «سيد درويش» بالإسكندرية... لحضور عرض مسرحي للفنان «محمد صبحي» ابن الإسكندرية مثلهم.

تغمرها السعادة، وينتهى العَرض الممتع على تَصَفِيق حَاد من جموع الحضور.

وقبل العودة يقترح «وليد» قبل أن يتناولوا العشاء سَويًا في أحد المطاعم بمنطقة «بحرى».

أن يجمعهم الغدّ أيضًا ويرجئان العودة...

توافق سُوزى... ويوافق مُهاب على أن يمنحا أنفسهم يومًا آخر للسعادة...

ويتجهون إلى منطقة «بحرى»الجميلة بعدما أَسدل الليل عليها ستائره.

يتخيرون وجبات «سي فود»خفيفة تناسب وقت العشاء مع بعض الطحينة والسلطات.

ثم يكملون سهرتهم يحتسون الشاي بالنعناع على كافيه صغير هناك، مازالت تَحمل لياليه رائحة ليالى زمان.

ليكمل متعتهم بالسهرة صوت عبد الحليم حافظ وتدعوهم كلماته وعذوبة صوته بالبقاء، حتى كادت دموعها تنفرط من كَثرة الود والامتنان، وهى تتغنى معهم فى همس بروائع الكلمات. أعز الناس... على طول الحياة

نقابل ناس... ونعرف ناس
ونرتاح ويا ناس عن ناس
ويدور الزمن بينا
يغير لون لياليا
ونتوه بين الزحام والنَّاس
ويمكن ننسى كل الناس
ولا ننسى حبايبنا أعز الناس
حبايبنا أعز الناس حبايبنا
سنين، وسنين
تفوت ما نحس بوجودها ولا وجودنا
ولحظة حب عشناها عشناها
نعيش العمر تسعدنا
ومين ينسى... ومين يقدر فى يوم ينسى؟
شعاع أول شرارة حب
ونظره من بعيد لبعيد
تقول حبيت
ورمش يقول

غلبني الحب...غلّبني
ومين ينسى...
ومين يقدر في يوم ينسى...
ليالي الشوق ولا نارها
وحلاوتها ولا أول سلام بالإيد...
ولا المواعيد ولهفتها...
ولا ننسى ولا نقدر في يوم ننسى
حبايبنا أعز الناس حبايبنا...
حبيب قلبي وروح قلبي حياة قلبي...
يا أغلى الناس
يا أحلى الناس
يا كل الناس
لسه مشوار الحياة شايل لنا وقفات...

وكأن خريف سبتمبر يخشى الرحيل دون أن يبعث برسائل حنين، كم اشتاق لأن تلحقه بموكب العاشقين بعدما تأخر كثيرًا الوصول.

تلك الليلة هى سهرتهم السعيدة الأخرى، ليعودوا لمنازلهم سُعداء جداً... بعدما ودعهم «مُهاب»واستوقفتهم جميعا رقة مشاعر

«سوزى»حين شكرتهُم حتى كادت دموعها تنفرط من كثرة الود والامتنان لهم.

وليد وهند، وحديث يدور بينهما عنهم...

وليد:

– كانت سهرة جميلة يا هند.

هند:

– جدا يا وليد.

وأحلى ما فيها سعادة ما شفتهاش من زمان جدا في عيون مُهاب

وليد:

– ده حقيقي...ومن بداية اليوم وأنا شايف مُهاب جديد.

هند تبتسم وتقول:

– أنا مُتفائلة خير.

– مُهاب هايكلم سُوزى الصبح عشان يفطروا سوا ونتقابل احنا معاهم على العشا.

وليد:

– خير بإذن الله ياحبيبتي.

هند:

– حبيبى يا وليد.

وليد يضحك ويحتضن هند ويقول:

– الله عليك يا مُهاب... لِسَّه مُخلص لحبك لسوزى العُمر ده كله.

هند:

– مُهاب بس...

وليد: – هههههه...

الله عليك يا وليد...

هند:

– هههههههه لِسَّه مخلص لحب هند العُمر ده

هههههههههه.

يخرج «مُهاب» للشرفة المطلة على البحر وعلى شُرفة «سُوزى»، بعدما جافاه النوم، وفى يديه كُوب من مَاء...

هادئة بَرودة لياليه، كَهدوء ووداعة هَذه الليلة من ليالى سبتمبر.

ليرى الإسكندرية كما كانت... فها هى لم تَزل أَمام عينيه كما هى، جَميلة... مَارية

بهواها الزعفران، وصِباها العنفوان...

وكأن ما أرهقها، وهدها أبدًا صخب وحرارة قيظ أيام ليالى صيفية.

يرتشف شربة ماء على رواء... علّه يروى ظمأ اشتياق السنين... تنتابه الفِكرة التى كان قد أخبر بها هند.

ثم يقول لنفسه فى حيرة : «هى فكرة مجنونة إلى حدِ ما».

وقبل أن يفتك به الخجل ويحاول أن ينال منه و يُبعدها عن خاطره يأتيه الشوق... فللشوق سُلْطَان، يأمر وينهى فينا، وما علينا سوى السمع والطاعة.

١٨
أغدا ألقاك...

يأخذه البحر لأعماق أعماق المشاعر التى كانت، ولم تزل باقية حتى هذه اللحظة.

ثم يُخبر نفسه أن غدًا آخر يوم، ولابُد أن يُحادثها عن كُل ما كان وما سوف يكُون خاصةً أنهما سيعودان، وربما ينشغلآن ثانية... وتباعد بينهم أعباء الحياة، أو تخطفها منه الأيام كما حدث قبلاً ويعز بعد ذلك عليهما التلاقى، فيُقرر الاتصال بها باكرًا فقد تأخّر الوقت.

يستمع إلى «أم كلثوم»وقصيدتها الرائعة

أغدا ألقاك

يا خوف فؤادى... من غد

يا لشوقى... واحتراقى

فى انتظار الموعد

آهٍ... كم أخشى

وأرجوه اقترابا
كنت استدنيه... لكن
هبته لما أهل...

صباحا ...

تتلقى «سُوزى» اتصاله بترحاب شديد، بعدما طلب منها أن يلتقيا، مُوضحًا أنها الفرصة الوحيدة ليتحدث معها قبل أن يُغادرا الإسكندرية، ويعُود كلاهما إلى مدينته، فتوافق.

وها هو أمام موج البحر الهادر، يتناول قهوته بعدما حدّثها تغمره سعادة القلب التى غابت عنه كثيرا.

لأنه أخيرًا تحرك، وطلب منها اللقاء، وها هى ضحكته الطفولية قد عادت له مع ترحاب صوتها الجميل.

هذه الضحكة التى لاتخلو من قهقهة وشقاوة الأطفال، تعود وتداعب شفتيه بأمنيات شوقه إليها...

وهو يقود سيارته... ذاهبًا إليها،أنيق كعادته... ينظُر لوجهه بمرآة السيارة؛ وقد ذابت بشرته الخمرية شوقًا إليها فى نهار وليل الإسكندرية بالأيام الماضية، فطل دفء شمس سبتمبر من عينيه وسكن هدوء ليله فى ابتسامة صافية لا تفارق شفتيه.

وكأن جفا السنوات لم يستطع أن يطول منها ويغلبها.

ينتظرها فى موعدهم المحدد بلوبى الأوتيل، فأتته بصباحات من وِد.

يتلاقىَ بعينيها ويَتيه فى رِقة وطيبة الصباح معها.

وكأن هَذا الوقت الذى قد قضَاه معها فى اليومين السابقين ، كان بدايات موعده مع الحياة.

ودون أن يَشعُر وهو يُبادِلها السَلام، ظَل مُمسِكًا بيدها وكَأنه طِفلٌ، لَم يَستطِع أن يَتحمَل ذالك الإحساس الضائِع بأن تَفلت يده من يَد أُمَّه.

فَظل مُطبقَ عليها... وكأن العالم قد أهدَاه كُل أمَانه فى حُضن يدِها... فَما تَركَها إلى أن استقلآ سيارته... وانطَلقَ،ا أَما هى فكانت خجلى ولم تفعل شيء سوى الاستسلام، ولا تدرى لماذا؟

إلى أن وصَلآ شاطئ «المنتزه»حيث جَمعهُم ذَاك اللقاء الفضفاض من الحكايا عنه وعَنهَا.

فَقضيا اليومَ بأكملُه ليذهب الموج، ويأتى مُحَمَلًا بتفاصيل أيام وليالى العُمر الذى تَاه منهما مرغما فى زِحام الحياة.

حتى باغتتهُم لحظَات غُرُوب الشمَس، وهما جالسان على الشاطئ، بعدما أخذتهم أمواج الأيام العاتية، وعادت بهم على مرافىء الأمان.

ليظَلآ مُستمتعين معًا، وهاهما يعودان بصُحبة القَمر... يتقابلان

مع هند ووليد على أحد مطاعم المنتزه لتناول العشاء.

تنتهى ليلتهم هادئة سعيدة... ثم يودعون بعضهم، علَى وعد بلقاء قريب بالإسكندرية.

فى الصباح...

تغادر الأوتيل... واضعة حقيبتها بالسيارة، وعائدة لتسير بالطريق محملة بالكثير من المشاعر المختلفة، والحكايا المختلفة...

لا تملك إلا أن تصطحب الذكريات التى بها الكثير من الحكايا لتشدها التفاصيل بالطريق، تتحيّر من أمر تِلْك الحَياة... وَمِن أمر هؤلاء البَشَر الذين قد يَفرض علينا القَدر أن نتقاسَم معهم العُمر، وللأسف لايُقدّرون غلاوته.

إذ حَكى لها «مُهاب»عن معاناته مع زوجته التى كانت جَامحة الطموح؛ وكيف أنها جَنحت بأهوائها، وأطماعها بما لم يَكُن فى حسبانه أبداً؟

مما كان لَهُ بَالِغ الأثر السيء عليه وعلى أولاده الذين تحمل فى سبيلهم، وعانى الكثير من أجل ألا يَمسهم أى سوء جَرّاء انفصاله عن والدتهم، والبُعد بهم للقاهرة.

كَى يحافظ على سمعتهم ... بعدما تورّطت أُمهم آنذاك فى قضية

رشوة، وسجنت على أثرها هى وشريكاها، حيث كان هو وهم زملاء بنفس المؤسسة الحكومية...

ليقدم مُهاب على الفور استقالته، ويتفرغ للعمل الحر.

فقد كان حاصلًا وقتها على ماجستير فى المحاسبة المالية للشركات... أما أولاده فكانوا طفلين آنذاك...

ليُذكِرها حَاله بحَال تِلْك السّيدة جَميلة الملامح وجميلة القلب والروح، والتى لَن تنسَاها أبداً، مهما مَر على لقائهما من سَنوات

التقتها فى جلسة بالمحكمة لطلب الطلاق من زوجها؛ وتتذكّر اسمها الذى كان يَحمل منها الكثير فقد كان أسمها جميلة وكان شأنها شأن الكثيرات، فَظَلت تتحمّل حماقات زوجها وشطحاته الغير مُحتملة... والتى لم تَكتشف إلى أى هوّة سَحيقة كان قد ألقى بها فيها،لاوألقى بأولادهما أيضًا إلا بعد فوات الأوان.

وكَما تَحملت من أجل الأولاد وَهُم صِغار، ها هى تُكمل مع الباقى من عُمُرُها فى مَسيرة التّحمُل.

أحزان «جميلة»لم تَكُن مُجرد اختلافات فى وجهات النظَر، أو هى هذه الطبائع المخْتَلِفةِ، التى قَد تَكشفها العِشرة بين أى زوجين فيبدوعلى حياتهم هذا التنافر، الذى قد يروح ويجئ... يهدأ أحيانًا، ويثور أحياناً أُخرى...

لتجد بالأخير هذا النمط من الحياة الأشبه باعتياد الاختلاف لتسير بهما قافلة الحياة رغم التنافر... لأن بالقافلة من يستحق أن يبقوا من أجلهم، ألا وَهُم الأبناء.

أحزان جميلة كانت أكبر من مشاعر لم تلتق على مُوجة وَاحِدَة مع رَجُل تمنت أن تعيش معه حياة مِلؤها المودة والرحمة، جميلة كانت تُعانى بِحَق من أول الأيام التى جَمعتها بزوجها الذى كانت تربطه بها صلة قرابة؛ والذى بدأ يتقرب إليها بحجة تِلْك الصِّلة بعد وفاة والديها...

فهى البنت الوحيدة التى سترث هذا المنزل المكون من ثلاثة طوابق بطنطا.. وكان هو صحفى مغمور فى بداياته آنذاك طالت أطماعه الكثيرين بالأذى، وكانت أول مطامعه جميلة التى استحوذ عليها.

لم تَكُن تلتفِت لتصرفاته خَشية الوحدة والفَشل... لكنها ما كانت تعلم أن زوجها يقامر بأى شيء، وَكُل شيء، كانت تعلم أنه مُجرد موظف فى مؤسسة صحفية كبرى بالقاهرة.

كانت سليمة النوايا، ولم يَكُن تواجده بالبيت إلا سويعات معدودة إذا ترك القاهرة وأتاهم للزيارة يشككها فيه، على الرغم من تغيبه الدائم لأكثر من شهر دون سبب معلوم.

لم تَكُن تعلم أين هو؟

و لا ماذا يفعل؟

لم تكُن تعلم أنه يرتشى... ويقامر... وقواد.

حتى كانت الطامة الكبرى... بعد زواج دام لأكثر من عشرة أعوام، حين أدين فى قضية أخلاقية شهيرة.

فوقفت الوقفة الوحيدة فى حياتها فى وجهه وطلبت الطلاق، كى تستر البنت والولد بالبعد عنه.

لتسير بها سنوات الزواج من البدايات للنهايات بالغِة الصعُوبة معتذرة هى الأخرى لسنواتها التى أضاعتها وهى تظُن أنها تسير بالقافلة فى الطريق الصحيح أو أنها كانت تُيسِر الأوقات فلا هى تقف عند نقص هذا الرجُل... ولا هو كان يضع فى عينيه بعض حصيات من ملح!

فتفضّلت أن تتمرس اعتياد العيش على ما تجُود به الأيام... حتى باتت تمتلك هذه المقدرة والقُدرة على التصرف فى هدوء فى كُل شيء، و أى شيء مهما بلغ أمره.

فباعت المنزل بأكمله تاركة طنطا؛ وذاهبة لبلطيم حيث تقيم عمتها، فضلت أن تكون بجوار عمتها فى منزل صغير اشترته ووضعت ماتبقي معها من مال جانبًا.

كى تُكمل تربية أبنائها وحدها ودون الاعتماد على أحد، إلى

جانب شرائها لماكينة خياطة، ظلت تخيط عليها الملابس للناس الذين جاورتهم، وأحبتهم، وأكملت معهم المشوار بعيد عنه وعن فضائحه.

تُحادث «سُوزى»ماضيها، وماضى «جميلة»؛ وماضى «مُهاب»وتلومه...

فذاك الماضى هو الذى جمعهم بمن لا يستحقونهم...

وتقول: « وهانحن نكتشف أننا كُنَّا نُضحى من أجل من لا يستحقون؛ وهكذا وبمُنتهى البساطة كُنَّا نتمادى نحن فى سَفهنا هذا غير مُكترثين...

أو غير مُدركين ماذا نحن فاعلون بأنفسنا؟!

و من ثمّ كانوا هُم يتمادون فى استنزافنا حتى آخر رَمق فينا ولا عزاء لنا!

ولا لوم عليهم!

اللوم كُل اللوم عَلينا نحن، وعلى ما فَعلنا بأنفسنا الغالية جداً... نَعم، فَنحن مَن كُنَّا نُجبِرهَا أن تَحِيك وترتدى ثيابًا كَثيرة الثقوب !

١٩
احضنوا الأيام...

القاهرة...

مدينة نصر...

يَصِل «مُهاب»إلى الحى الذى يقطُن به مُنذ أكثر من خمسة وعشرين عام.

لم يكن هذا الحى وقتها بهذا الازدحام... فترك سيارته بعدما نزل منها لسايس الجراج كَى يركنها بمعرفته، ويلحق به من بعد ذلك بواب العمارة بحقيبة السفر.

سعيد أنه عائد من الإسكندرية بروح مُختلفة عن سنوات كثيرة سابقة؛ كانت تتقلب عليه مواجع كثيرة فى كُل مرة كان يعود فيها بسيارته على ذات الطريق.

تلك المرات التى كان كثيرًا ما يجترّ فيها ذكرياته الأليمة مع هناء طوال الطريق حتى يصل إلى لقاهرة أو العكس.

فكَم عَانى مُنذ أن ترك مدينته الغالية على نفسه؛ الإسكندرية... مُرغمًا بعد فضيحة زوجته المدوية بأرجاء مدينتهم، مُحتضنًا أولاده الصغار آنذاك؛ والذى كان أكبرهم لم يتعدى الخامسة من العُمر بعد، مُتذكرًا تِلْك السنوات العجاف التى طالت أيامه... وأطالت المكوث عنده لسنوات وسنوات... تجرجر معها العذاب لأيام وليالى كثيرة.

عانى نفسيًا مُتحملًا ما لا يُطاق، ولولا لُطف الله ورحمته الواسعة بعباده، لكان له ولأولاده شأنًا أكثرَ مرارة بتِلك الحياة إذ هيئت رحمة السماء الأسباب له، ولهؤلاء الأطفال الذين لا ذنب لهم.

فأهدت أولاده الأقدار أكثر من أم بديلة فى حياتهم أغنتهم بعض الشيئ عن حرمانهم من أُمهم فى تِلْك السِن المبكرة ومنحتهم ولو لبعض الوقت دفء وحنان صُحبتهم؛ فكانت والدة «مُهاب»والتى هى جدة الأولاد مابين الحين والحين تزوره وتُعينه بعض الشيء فى تربيتهم، وكذلك أخته «هند» كانت تأتى بصحبة والدتها حتى بعد زواجها.

ثم بعد وفاة الأم ظلت تُواصل «هند» بثّ المحبة والعطاء بمشاركة زوجها الحنون «وليد»... خاصة أنهما لم يُرزقا بأولاد.

فكانت تِلْك الزيارات هى السند والعَوض لهم جميعًا... يَصل مَنزله تاركًا ذكرياته المريرة على باب شقته، ليَفتح الباب.

مُنطلقًا ولأول مرّة مُنذ زمن بعيد تُسيطر عليه هذه الروح المتفائلة والمقبلة جدًا على الحياة.

يضع حافظة أوراقه التى لا تُفارقه معظم الأوقات بمُنتهى الأريحية على تِلْك المنضدة العزيزة على قلبه... ولأول مرة يفتح هذه الأباچورة بابتسامة على غير العادة إذ أنها غالبا ما كانت تعانده وتطفئ أنوارها الهادئة بعد لحظات من فتحِه إياها.

ليعاود إضاءتها من جديد بتثبيت (الفيشة) جيدا.

يضحك ويندهش لأنها هذه المرة لم تخذله، وظلت مُضاءة وكأنها تُرحب به.

يفتح باب الشقة للبواب الذى أحضر له حقيبة السفر من السيارة و يطلب من البواب أن يُدخل الحقيبة لحجرة النوم، ثم يطلب منه أن يحضر طلبات المنزل من عيش وجبن ولبن وماء حتى يحين الصباح، ويكملون بقية احتياجات البيت.

فقد اكتشف وهو يفتح الثلاجة ليحضر زجاجة مياه أن «حمزة « ترك الثلاجة فارغة من كافة الأشياء التى كانت بها... فيندهش ويضحك، ثم يخرج من المطبخ وفى يده زجاجة المياه.

ويقول: الحمد لله إن فى مايه أشربها...

يضحك البواب ويقول له: تصبح على خير يا أستاذ «مُهاب»

مفتوح بحسك.

مُهاب: تعيش يا جمعة.

تصبح على خير.

ثم يُغلق جمعة باب الشقة وراءه، ويقف «مُهاب» فى مُنتصف الريسبشن ينظُر إلى الشقة بعيون مُختلفة، ولأول مرة مُنذ سنوات بعيدة يَشْعُر أن شقته تحتاج أن تستعيد رونقها.

خاصة بعدما أجهز عليها حمزة، وأصدقاؤه...

يضحك، ويتذكر كلمات جمعة التى تشير لأنه كان هنا شلة حمزة لمدة يومين.

فيقرر على الفور أن يبدأ من الأيام القادمة فى الإعداد لتغيير أثاث المنزل، وطلاء جدرانه بألوان يطل منها النور، وتزورها البهجة.

يدخل حُجرة نومه لتغيير ملابسه، وينظر لنفسه فى المرآة مُندهشًا من حَاله، وكيف أنه لم يَكُن منتبه لأن شقته قد طالتها هى أيضا عذابات السنين، وتحتاج هى الأخرى أن ترتدى حُلّة فرح جديد.

يرتدى بيجامته الحرير الزرقاء والتى يميل لونها للون البحر الذى يشعر الآن أنه يفتقده، ليأخذه الحنين ل «سُوزى» فيتصل ليطمئن عليها.

مُهاب: ألو...

سُوزى: أهلاً مُهاب...

مُهاب: حمد الله على سلامتك...

طمنيني عليكى...

سُوزى: الله يسلمك...

ميرسى يا مُهاب على سؤا لك...

أنا كويسه...

الحمد لله...

مُهاب: دايماً يارب بخير...

تصبحى على خير...

سُوزى...وانت من أهله...

تغلق سُوزى الهاتف، ثم تذهب لتنام لأن لديها الكثير ستقوم به هى الأخرى بالغد.

٢٠
أنت عمرى...

يَشْعُر مُهاب بخطوات «حمزة» تدور بخفة داخل البيت فينادى عليه:

– حمزة...

يَدْخُل مُسرعا لحجرة نوم مُهاب، ويرتمى عليه فى السرير ليتمرّغ فى حضنه؛ وكأنه مازال هذا الطفل الصغير الذى لا يجد الأمان سوى بين أحضان والده.

ويقول: حبيبى يابابا.. .وحشتنى جدًا.

حمد الله على سلامتك.

مُهاب: الله يسلمك يا حبيبى...

انت واحشتنى أكتر...

طمنى عليك.

حمزة: تمام يا باشا... كله تمام والله.

مُهاب: الحمد لله يا حبيبى...

لكن يا واد يا بكاش انت ...

حتى العيش والجبنة مش لائيهم...

هههههههه...

فين العصاير، والأكل يا واد هههههه؟!

يضحك حمزة، ويَنظُر بعينيه هذه النظرة البريئة التى لم تَزل تحمل خجل طفل برىء، احمرت أذناه بعدما التهم طعام البيت كُلِّه خِلسة... فتَحمِل معها شَجن عذابات ذابت فيها لفراق حُضن الأُم مُبكراً جدا.

هذه العذابات التى حملها و يحملها عنه وعن أخيه... قلب وعيون مُهاب.

فحمزة وأخيه الأكبر أيمن صارا أكثر شبهًا بأبيهم ...

ورثوا جيناته؛ وكامل تفاصيله... العيون السوداء والبشرة الخمرية، وهذا الجسم الممشوق طولًا، وكأنهم أحد أبطال فريق السلة.

يسترسل حمزة فى ضحكاته وكلماته:

- هههههه...طب أيه؟!

مُهاب:

– هههههههه...

بتضحك يابكاش ... إطفى النور... وأقفل الباب وراك يا بكاش وهاتلائى الثلاجة فيها كُل حاجة...

«جمعة»جاب لنا شوية حاجات لغاية بكرة .

أنت تؤمر يا سيدى.

واعمل حسابك تصحى بدرى

ننزل أنا وأنت نشوف البيت محتاج ايه

تصبح على خير يا حبيبى

يُقبله حمزة على جبينه ويقول:

– تصبح على خير يا غالى.

ويشكُره ويطفئ النور...

ثم يُغلق عليه الباب، ويذهب للمطبخ، كالطفل الفرِح بأنه لم يَعُد وحيداً فقد عاد إليه الونس.

نهار جديد ...

يستيقظ « مُهاب»من نومه، ولم يَزل يصحبُه هذا الشعور المنشرح الصدر، والمرتاح البال مع هذا الإحساس الممتع الذى استقرّأخيرًا

بقلبه، ولم يبغ الرحيل مُنذ هذه الزيارة الأخيرة للإسكندرية والتى أهداه فيها قلبها، ما حُرِم منه عمرًا طويلًا، فتغيّرت معه ملامح خريطة الأيام.

يقف أمام المرآه ليُجفف تِلْك الخيوط الحريرية البيضاء التى حلّت بشعر رأسه فزادته جمالا يضفى على بشرته الخمرية صفاءً يشبهه.

ولازالت ابتسامته تُصحبه مخلصة المكُوث على شفتيه منذ التقيا، يدخل مُسرعًا إلى المطبخ كَى يُحضر لنفسه الفطُور، ومعه قهوته المُعتادة.

بروح جديدة كشَاب فى ثلاثينيات العمر الجميل، يتغنّى بأروع ألحان وكلمات الحُب.

رجعونى عينيك
لأيامى إللى راحوا
علمونى أندم
على الماضى وجراحه.
ليجد الكلمات تشتاقها..

فيُسرِع للاتصال بها... ويُصبّح عليها مع هذا النهار الجديد، قبل أن تنشغل بعملها.

مُهاب: صباح الورد

سُوزى: صباح الورد

مُهاب: حبيت اطمن، وأصبح عليكى.

سُوزى: ميرسى جداً يا مُهاب

هند حالاً كانت بتطمن عليا

ربنا ما يحرمني مِنكُم.

مُهاب: ولا مِنْك يا سُوزى.

وراكى شُغل أكيد...

سُوزى: مكتب بعد الضُّهر بإذن الله.

مُهاب: كويس جداً.

سُوزى: وانت هاتعمل إيه

مُهاب: النهار كله مخصصه للبيت

عندى شعور غريب جدا

عايز أغير حاجات كتير

سُوزى: طب والله براقو عليك

مُهاب: هههههه لا أنا مُش شاطر قوى فى الأمور دى

ما تفهمنيش غلط هههههه

سُوزى...تضحك هى الأخرى

وتقول: طيب يا سيدى لو احتجت أى استشارة؛ نَحْنُ هُنَا.

مُهاب: أكيد أنا فعلاً محتاجك جدا.

سُوزى: تحت أمرك... نتواصل واتس أب

وتصور لى الأجزاء المطلوب تغييرها فى الشقة، ونتشارك الرأي

مُهاب : بجد يا سُوزى؟!

سُوزى: أكيد تحت أمرك يا مُهاب

احنا أهل

مُهاب: احناااا...

ثم يصمُت، وتصمُت معه سُوزى.

ليستجمع شجاعته، ويُقرر أن يُعبِّر عن جزء من شعُوره...

- سُوزى انتى بالنسبة لى كِلْ الناس، والأهل والصحاب.

سُوزى تحاول أن تهرب بلباقة:

- هههههه... حِيلك حِيلك... إيه كُل ده...

مُهاب يتحرج وتَشعُر هى بحرجه الذى ما قصدته...

فتعاود الوصل قائلة:

- ميرسى جدًا على كُل كلمة حلوة حسستنى بطعم الأمان.

مُهاب: حقيقى ده شعورى من زمان.

وساعات أستكتره على نفسى.

سُوزى تصمُت..

مُهاب:

- اااااايه رُوحتى فين؟

سوزى: لا أبدا معاك

مُهاب: عموما احنا محتاجين نرتب ظروفنا، وظروف شغلنا لأن أنا مقدر أن تأخيرنا يوم فى إسكندرية ربكلك جدول الشغل فى المكتب.

وأنا شغل المكتب عندى محتاج تنظيم، ونتفق بعدها على ميعاد نتقابل فيه.

سُوزى: اتفقنا.

٢١
الحُب جميل

تُغلق «سُوزى» الهاتف ويأخُذها الحنين للعيش فى هدوء، ورسم الحلم الباقى لرحلة الأيام، وتتساءل: تُرى هل لو تلاشى كُل هذا العالم من حولك، وبَقى أحدهُم يذهلك بمروءته... ثم يُدهِشك... فيهديك وفاء أنت تستحقه؟

أليس العالم كُلِّه سيصير وكأنه رهن أشارة منك؟

أليس من حقك وقتها أن تُراقص النجوم، وتلهو بين مجراتها زهوًا أن أحدهم لم يَزل يمتلك إنسانية اللحظة، ونُبل الأيام، ولن يبيعك فى سوق نخاسة هذه الدنيا؟

تستدعى سُوزى كُل الذكريات من ذاك الزمن البعيد... الذى ظَنت أنها كانت وضعته بعيد على طاولة المسافات، مُنذ رحلت شابة صغيرة من الإسكندرية لتتزوج فى مدينة طنطا... وقتها لم يَكُن «مُهاب»هو فارس الأحلام، وإن كانت هى بالنسبة له غير ذلك...

لكنه لم يَكُن يبح ... وفى ذات الوقت لم يَكُن يقرأ الغيب ليعلم أن سُوزى ستُختطف من وسط الحى بهذه السُرعة فكلاهما كان لم يَزل صغير.

إذ كان مُهاب يكبرها بالقليل من السنوات... فلم يعطهم الوقت الفرصة، ولم يفسح لهم أماكن بالقلب كى يمسكوا بالفرشاة والألوان ويرسموا الأحلام.

هى رغمًا عنها اختطفها الزمن من هذا الوقت الناعم... ولم تنعم معه بعيش تفاصيل هذه الحياة... تصحو من غفوة أحلامها الرقيقة، وكُلها أمال كبيرة فى أن تعيش سعيدة.

تتمايل فى رقة وعذوبة أمام المرآه، ثم ترتدى ملابسها، وتُقرر أن تذهب إلى الكوافير لتغيير لون شعرها، فهى لأول مرة تُرِيد أن تُدلِل نفسها.

ولِمَ لا؟!

فهى لم تَزل جميلة، وحتى هذه الخصلات البيضاء التى كانت أعلنت الغزو لشعرها قبلا، وظلت تحاصرها.

ثم قضت عليها باللون البنى الداكِن، ولابد لها الآن أن تقضى عليها، وعلى الفور بلون يُعلن التمرد والعصيان.

تضحك، وتأخذ سلسلة مفاتيحها وحقيبة يدها... ثم تقف

لبُرهة أمام القنصَول الكبير الذى طالما كان يقف بالمرصاد للقاصى والدانى بجوار باب الشقة.

يلتقط صورة لِكُل من يريد أن يرى صورته بالمرآه، ثم يترُك الخيار للجميع فى أن يرى كُل واحد نفسه حسبما يُرِيد.

أو ربما يترك بعضهم الأمر برمته للمرايا كى تعكس حقيقة ما يخبئونه من أحزان أو أفراح.

تنظُر سُوزى وهى ترتدى الإيشارب الشانيل والنظارة الشمسية، لترى وجهها وكأنه بدا يحمل ملامح خاصة، تسبّح فى سعادة القادم من أفراح، فتهدى نفسها قبلة، وتُغلق باب الشقة... ثم تستقِل سيارتها، مُتجهة إلى الكوافير... وهى تدير محطة الراديو فيهديها الوقت أروعه... وهل أروع من صوتها يذكرها صوتها بعزف رائع على آلة الكمانجا.

يهديها الوقت جميلة الجميلات «ليلى مراد»وهى تغنى

الحب جميل...

الحب جميل...

للي عايش فيه

له ألف دليل...

أسألوني عَلَيْه

بيفوت ع العين...
ويصحيها من عز النوم
ويفوت ع الروح...
ويطير بيها
الدنيا في يوم
ولما القلب يجي يفرح
ساعة ما ألاقيك قاعد جنبي
أمالي الحلوة تتمرجح
في دقة قلبك مع قلبي

يذكرها الحُب ببناتها أيضًا، وقبل أن يزورها هذا التفكير الغاضب الأنانى الذى تكرهه، ويَأْخُذ ببعض الأمهات لطريق الملامة الدائم على أبنائهم سواء بعدم الاتصال أو ما شابه ذلك وهى لا تحب ذلك... ولا تحب الملامة.

تتصل هى ببناتها، وهى بالطريق فيأتيها صوت «سُهى»: مامى حبيبتى...
وحشاني جدا
وآسفة جدا لانشغالى عن حضرتك.
سُوزى: لا يا حبيبتى مفيش أسف ولا اعتذار

اللى فاضى مننا يتصل، ويطمن
خلى بالك من بيتك، ومن جوزك
ولو فى أى حاجة
حبيبتى...مامى موجودة...
وحشتيني ياسُهى.
سُهى: وحضرتك أكتر يامامى.
سُوزى: طيب احنا فيها.
فى انتظاركم يوم الجمعة
نتغدا سوا.
سُهى...حاضر يا مامي.
سوزى: مع السلامة.
سهى: مع السلامة يا مامى.
تُغلق مع «سُهى»وتتصل للاطمئنان على «سارة»وزوجها بدبي ثم تغلق هاتفها بعد الاطمئنان على البنات، وتصل إلى الكوافير

مساءً...

سُوزى بمكتبها تُمارس عَملها، وتُراجع مع «نهاد» المحامية الشابة التى تساعدها بالمكتب مع «عصام»خطيبها المحامى جدول أعمال الأسبوع.

ليلاً...

بعد الانتهاء من أعمالها بالمكتب...

تُغلق المكتب وتدخل لشقتها... تذهب لغرفتها لتغيير ملابسها وأمام المرآة تُمشط شعرها، وهى فى حالة من الإعجاب بلون شعرها الجديد.

ترتدى رداء للنوم حريري بلون الياسمين، ثم تذهب إلى المطبخ لأعداد ساندويتش خفيف من الجبن الأبيض والزيتون الأسود، تضعه فى طبق صغير وتعد كوبًا من الشاى بالحليب دون سُكر ثم تُغلق نور المطبخ.

وتذهب لغرفة المعيشة المطلة على الحديقة، والتى يعكس ضوؤها الخافت مع ضوء القمر الذى يتهادى أليها عبر الشُرفة المفتوحة شعور غاية فى الرومانسية...

تفتح التلفاز لتُشاهد أحدى البرامج... ويلفح وجهها هواء سبتمبر المنعِش، يزداد الهواء فتحمل نسماته لهذا الليل بعض من برودة آتية مع الطقس القادم لا محالة.

تنتهى من عشائها، ثم تقوم بإسدال الستائر الحريرية لتُخفف من برودة حالمة... لكنها لن تخفى عن عينيها ضوء القمر ثانية.

٢٢
لسه فاكر قلبى يديلك أمان...

في هذا المكتب الكبير الذى تأنق، وارتقى بعد جُهد وتعب مُهاب، لسنوات وسنوات حتى صار كُل رُكن فيه شاهِد عليه، وبَدت جميع أركانه وحوائطه بشهادات التقدير الموضوعة عليها تتحدث عنه، وعن رحلة كفاحه، مُنذ حط الرحَال التى أوجعهَا الغدر، وهو مهاجر من الإسكندرية إلى القاهرة... ليكمل مشوار الحياة مع ولديه حتى تخرجهما من الجامعة ليصبح «خالد» الأكبر طبيب أطفال، ويتزوج من زميلته.

أما حمزة فخريج كلية التجارة مثل أبيه، ويقوم بالعمل معه وقد قام أيضا بعمل ماجستير فى إدارة الأعمال، وعلى وشك الزواج ليستقل بحياته كأخيه.

فراش المكتب يدخل عليه... قائلا:

– أستاذ مُهاب؛ الأستاذة «هناء السيد» عايزة تقابل حضرتك.

مُهاب وكان وقع هذا الاسم غريب على أذنيه ليقول:

– مين هناء السيد؟

عميلة ولا إيه...؟

الفراش: لا يافندم هى طلبت أبلغ حضرتك الاسم وبس

مُهاب يستوعب الإسم، ويتأكد فى تِلْك اللحظة أنها بالفِعل قد مُحيت من الذاكرة.

وثمة اندهاشه من كونها تُرِيد مُقابلته.

فَينتفض من مكانه، وكأن مُصِيبَة كُبرى وقعت على رأسه من قبل أن تدخل عليه.

فيُسرع بالوقوف عَلهُ يستطيع أن يَبعد عنها.

وفى حركة لا إرادية يقوم من على كُرسى المكتب الجالس عليه، ثُم ما لبث أن اعتدل فى وقفته كَى يحتفظ ببعض من هدوئه أمام الفراش.

ليفتعل أنه ذاهب ناحية ثلاجة المكتب الصغيرة... فيفتحها ويأخذ زُجاجة مياه باردة.

فراش المكتب يجرى عليه وهو فى حَرج شديد...

ويقول :يا مُهاب بيه
عنك والله...
ما يصحش كده.
حضرتك تقوم بنفسك...
عشان تجيب إزازة ماية وأنا واقف.
ده واجب عليا يا بيه!
مُهاب: عادى، ولا يهمك.
خلى المدام تتفضل.
تدخل «هناء»عليه المكتب، هو لا يريد أن يلمح لها طيف، فلا ينظر إليها.
تصمت هى لدقائق علّه يشعر بوجودها.
لكنها استشعرت أنه لا جدوى.
حتى بادرته هى بالكلام...
فأرادت أن تظهر قوية كما كانت
فتغطرست بإيماءات، وإيحاءات الكلام...
لتقول بصوت متعجرف النبرات:
- ازيك يا مهاب...
يا ترى عامل إيه؟

يرفع وجهه مندهشًا من بجاحة استشعرها بصوتها.

ولأول مرة يراها وقد كسرتها السنين .

فبدا وجهها شاحِب لا لون فيه، و لا حياة.

تضع على عينيها نظارة سوداء...

استشعر منها وكأنها أرادت أن تُدارى بها خيانتها من وراء قضبان زجاجها الأسود.

تَمُد يدها إليه...

وتحاول أن تُبدى حُسن نيتها بالسلام.

بعدما لمحت بذكائها أنه استشعر كسرتها، وضعفها.

لكن «مُهاب»وكأنه لم ير هذه اليد التى امتدت، وارتشت يومًا ما دون أى اعتبار لوضعه معها كرئيس حسابات فى الشركة، أو وضعه كزوج، وأب لأولادها.

فلم تُراعى أنها «أُم»، وَأن تِلْك اليد التى امتدت للخيانة لها مسئوليات، وواجبات إنسانية.

وللأسف ظلت هناء تجهل هذه القيم الإنسانية النبيلة تجاه عشرتها له وتجاه أولادها.

تبدأ بالكلام...

وثمة حيرة تزلزل كيانه.

صوتها هذا الذى كرهه...

كيف سيتحاشى سماعه الآن وهى جاثمة على أنفاسه بحجرة المكتب؟!

وحتى هذه الحُجرة المغلقة عليهما الآن، والمطبقة جدرانها عليه كيف سيفر منها؟!

ولأول مرة يداهمه هذا الشعور وهو فى مكانه الذى بناه وتعب فيه، وأحبه.

فهل هَرب الأوكسجين فزعا من جبروت هذه المرأة.

ثم يفيق من حيرته على هذه الجملة الصادمة...

هناء:

- عايزة أشوف ولادى يا مُهاب؟

ينظر إليها فى تَعجُب وذهول...

فكيف له لم يتخيل أنه سيقف معها هذا الموقف يوما ما؟!

فينتفض...

ويقول:

- ولادك مين ياهانم.

لِسَّه بتحاولى دلوقتى بس تسألى عنهم !

كانوا فين ولادك دول من حياتك أساسا!

هناء:

– إنت اللى حرمتنى منهم .

مُهاب:

– ياسبحان الله...

وأنا ايه كان مطلوب منى ياهانم.

عشان ما حرمش جنابك منهم؟!

هناء: تسامح... وتغفر... وتنسى.

مُهاب:

– هناء... أوعى تكونى مفكرة إنى مُش عارف إنتى عملتى إيه بعد خروجك من السجن... انتى ومُديرك المرتشى وجوازكم بالمال الحرام، والمشروع الضخم اللى اتعمل فى اسكندرية بمال حرام وعشان نيتك السودا، ماشُفتيش يوم راحة مع راجل حرامى وفلاتى وبتاع ستات، وخمورجى...

ربنا عطاكى اللى تستاهليه...

سرقك... واستغلك.

ربنا اسمه الحق ياهناء.

هناء:

– يااااااه إنت قلبك أسود للدرجة دى.

بتتشفى فيا يا مُهاب؟

مُهاب:

– أنا عارف انك غبية...

لكن ما كنتش أعرف أنك عميا!

أتشفىّ أيه يا هانم!

أنا بس بفوقك، وبعريكى أودام نفسِك.

عشان تشوفى نفسك الأمارة بالسوء، وتحطيها فى مكانها الصح.

كانوا فين ولادك من حياتك كل السنين اللى عدت.

ده انتى حتى ما حاولتيش تحسسينى إنك ندمانة إطلاقا، أو أنهم وحشوكى فتحاولى تدورى عليهم..

هناء... وقتك انتها... مع السلامة

ومالكيش ولاد عندى

قصدى رجآلة ياهانم

ولادِك دلوقتى رِجالة ياهانم.

هناء:

– وياترى قلت لهُم عنى أيه بعد ما هربت بيهم، وخطفتهم بعيد عنى وجيت على مصر؟!

مُهاب:

– مُش بقولك أنتى ست غبية، وهاتفضلى طول عُمرك ماتشوفيش غير إللى إنتى عايزه بس تشوفيه.

هناء : أنا غبية؟

مهاب: أكيد البنى أدم اللى مايشوفش أخطائه، ويرميها على غَيرُه، غبى...

وما يستحق يتقال عليه بنى آأدم.

ده أنتى حتى ما خطرش على بالك أبدًا أنى بحمى سمعتهم وبحميهُم من قساوة ألسنة، ونظرات الناس.

هناء تُنكِس رأسها فى الأرض للحظة... لكنها سُرعان ما تنتفض، وتقف من مكانها وتلتف حوله في المكتب، فى هيستيريا

وتقول:

– لازم أعرف دلوقت قلتلهُم أيه عنى؟

مُهاب:

– للأسف كدبت عليهُم، وخُفت أدبحهم بيكى.

ولادى ياهانم عارفين أنى انفصلت عن أُمهم، وأنها خارج مصر من وقتها.

هناء:

– ومابيسألوش عليا نهائي.

مابيقولوش عايزين نشوف أُمنا؟!

مُهاب:

– أعتقد الأطفال بتكون مشاعِرهم أكتر صدقًا مننا.

هما وصلتهم الرسالة من زمان

ولما حضرتك نستيهم؛ نسيوكى.

مع السلامة يا هناء.

وقبل أن يهم بفتح الباب كى يخرجها الفرّاش يدق جرس المكتب، ويتصل بمُهاب...

يبلغه بوصول «حمزة»مكتبه.

مُهاب يحاول أن يُخفى عنها أن حمزة بالمكتب.

فيقول للفراش: تمام...

ويغلق السماعة سريعًا، وقبل أن تفتح هناء الباب، وتخرج منه يدخُل حمزة عليهم... ليتقابل ب «هناء»على أطراف غرفة المكتب وقبل أن تخرج.

ثم يكمل السير بالحجرة ليقف فى منتصفها... وكأنه بينهما.

أما مُهاب فجالس على كرسى مكتبه وكأنه شلت حركته تمامًا.

استوقفها للحظات وجه، وصوت هذا الشاب، والذى لمحت فى نبراته ونظرة عينيه شيء ما يشبه «مُهاب».

وكأنه اقتلع قلبها من مكانه...

فأخذها الشك أنه ربما يكون ابنها الذى تركته وليد العشرة شهور.

لكن سُرعَان ما تبددت كُل هذه الأحاسيس...

و «حمزة» يقول:

- نورت مكتبك «مُهاب»بيه .

حمد الله علي السلامة.

مُهاب يحمد الله، وهو يضع يده على قلبه، و بأنه كان وضع منهجًا بالمكتب للعمل مع ابنه؛ وهو أنهما بالمكتب ليسا أبًا وإبنه.

بل هما رئيس، ومرؤوس.

يلتقط مُهاب أنفاسه... ويستوعب أنها لازالت واقفة

فيُبادر بإلقاء التحية عليها، رغمًا عنه.

ليقول فى حزم:

- شرفتينا يا هانم!

هناء لا ترد... وتمضى.

تخرج من غرفة المكتب و قبل خروجها نهائيًا...

تسمع فراش المكتب وهو جالس على مكتبه المجاور لباب الشقة الذى يدخل، ويخرج منه العملاء، ممسكًا بسماعة الهاتف ويستأذن

«مُهاب» بيه أن يُبلغ الأستاذ حمزة أن بالمكتب عميلًا بانتظاره.

تتوقف «هناء»عند إسم حمزة ...

وتحاول أن تجلس على كُرسى جانبى بجوار باب المكتب... قبل أن تسقُط على الأرض مغشيًا عليها لكنها تفشل وتسقط.

يهرول فراش المكتب، ويقرع باب مكتب «مُهاب» ليستنجد به كى يلحق بهذه السيدة التى كانت بمكتبه، قد وقعت الآن على الأرض قبل أن تخرج نهائياً من المكتب.

٢٣
شاءت الأقدار...

يَهرع «مُهاب» إليها، ومن خَلفه «حمزة» الذى أذهَلهُ ما حَدث لهذه السيدة التى فقدت الوعى تماماً.

فبَدأ ينظر إليها نظرَةً تَحْمِل أحساسًا مُغايرًا،أختطف قلبه فى لحظة ، ولكنه لم يَفهم!

وها هى جاثمة أمامهم على الأرض بلا حِراك.

يُمسك «مُهاب» يَدها... بعدما نَزل هو الآخر على الأرض ليطمئن على أنها لم يَزل بها نبض حياة.

ثم يقوم من على الأرض، ويطلب من حمزة الاتصال بالإسعاف فى الحَال، ويتصل هو بالطبيب الذى تجاور عيادته مكتبه لإنقاذها قَدر الإمكان.

يأتى الدكتور مُسرِعًا إلى مكتب جاره مُهاب، ويقوم بالكشف على السيدة بعدمَا حَملها مُهاب وحمزة قَبلا، ونقلوها لتُصبح مُمددة

على أريكة صالون عملاء المكتب بلا حِراك.

الطبيب وقد ظهرت على وجهه علامات تنبئ أن السيدة فى حالة حَرجة، بعدما أنهى الكشف عليها، قائلاً:

– للأسف يا مُهاب الست دى أعتقد أنها تَعرّضت لجلطة!هى عميلة عندك، ولا قريبة لك، لازم تتنقل حالاً لأقرب مستشفى.

مُهاب يحاول الرّد بهدوء، ويقول:

– اتصرفت يا دكتور... وطلبت الإسعاف.

ثم يُكمل كلامه، بعدما أسند رأسه على يده، ولم يَزل يقف بجوار الطبيب أمام الأريكة المِمددة عليها هناء، ليقول:

– السيدة عميلة يا دكتور... وأول مرة بتحضر لاستشارة بالمكتب عندنا...

ثم يصمُت مهاب، ويجلس على فوتيه مجاور للأريكة المِمدة عليها «هناء».

قدماه لم تَعد تستطيع أن تحمل كُل هذه الهموم التى تذهب وتعود بها هناء.

ويضع يديه بين رأسه طالبًا العَون من الله فى هذا الموقف الذى لا يُحسَد عليه.

يصل رجال الإسعاف للمكتب ويحملون السيدة «هناء» على

الحامِل المُمدد والخاص بسيارة الإسعاف.

ثم ينزلون بها طالبين أن يُرافقها أحدهم للقيام بإجراءات المستشفى.

يُسرع» مُهاب» بالنزول معها... بعدما شكر الدكتور الذى قام ببعض الإسعافات الأولية للسيدة، وبعدما طلب من حمزة الذى كان يصر على مُرافقته فى هذا الموقف الصعب، أن يظل... للقيام بأعمال المكتب، مُتحججًا بأنه يكفى المكتب هذه الأعمال المؤجلة نتيجة أنه انقطع عن المكتب يوم الخميس والسبت عندما كان بالإسكندرية.

وكذلك لا يصِح إغلاق المكتب بهذا الشكل المفاجئ أمام العملاء.

اقتنع «حمزة» وطلب من والده أنه من الضروري أن يفتح حقيبة السيدة للتعرف علي هويتها وعنوانها ومحاولة الوصول لأهلها عن طريق تليفونها فى هذا الظرف الطارق.

فيُجيبه بأنها قد تركت صورة من بطاقتها الشخصية مع بعض أوراق كانت سوف تستكملها فيما بعد، وسيقوم من خلالهم باللازم متحججًا بأنه حاول فتح تليفونها، حين ذهب هو لتهدئة الوضع مع العملاء، ولكنه مُغلق والظاهر أن له باسوورد مُعين ولن يستطيع فتحه.

فطلب حمزة أن يدخل للمكتب يساعده ويحضر هذا الدوسيه...

لكنه رفض وطلب منه أن يدخل للعميل الذى طآل انتظاره فى الحُجرة البعيدة الخاصة به بالمكتب وسيحضر هو الدوسيه الخاص بالسيدة .

كان مُهاب قد دخل مكتبه وأحضر دوسيهًا عاديًا كى يُظهر أمام الجميع صِدق روايته... قبل أن يهرول مع رجال الإسعاف.

وما أن وطأت أقدامه سيارة الإسعاف حتى أمسك بتليفونه المحمول وطلب رقم «رامى» الأخ الأكبر والوحيد «لهناء» والذى لم يقطع علاقته به لشدة محبته «لمهاب، وأبناء أخته الذين يحبونه كثيرًا... رغم أنه كان يراهم على فترات مُتباعدة جدًا خوفًا من اكتشاف هناء هذه العلاقة التى لم تنقطع بانفصال «مُهاب»عنها.

واعتراضه كذلك على كُل تصرفات أخته التى كان يعلم تمامًا أن مُهاب ظُلْم بزواجه منها.

فكان يفضفض معه بما يعتريه من ضيق ومن كُل المواقف الحرجة التي كانت «هناء» تضع العائلتين بها من وقت لآخر... فَكُل أخبارها التى فاجأها «مُهاب» بها مُنذ وقت قليل أثناء اللقاء الذى حانت به وشاءته الأقدار لأن يأتى الليلة، وينتهى بصورة غير متوقعة، من بعد خمس وعشرين عامًا...

لم تَكُن تعلم أن أخاها «رامى» هو من كان يبلغ مُهاب بأخبارها.

وأنه كان يلتقى به، ويطمئن عليه وعلى الأولاد من ورائها.

يفيق «مُهاب»من ذكرياته تِلْك، ليجد نفسه قد وصل أمام المستشفى... فيدخل مُصاحِبًا لرجال الإسعاف... حتى أدخلوها غرفة الحالات الحرجة.

يخرج مُسرعاً لتدوين بياناتها... فيستخرج بطاقتها الشخصية من حقيبتها الخاصة... ليصل أخوها رامى فى الوقت المناسب، و قبل إنهاء الإجراءات... ليستكملها هو بصفته أخي المريضة... ثم يطلب من مُهاب أن يخرج من المستشفى فى الحال، ويذهب كيفما شاء إلى المكتب أو المنزل ليستريح، وحتى لا يوضع في موقف حَرِج هو فى غنى عنه.

يشكُره مُهاب جداً ويعرض عليه أيًا من المساعدات التى يستطيع القيام بها... وألا يتردد فى الاتصال به لو احتاجه فى أى شيء وأي وقت.

يشكُره رامى ويقول:

– أنا عارف يا مُهاب إنك أخويا، ولو احتجتك فى شيء هاتصل بيك فورًا.

إحنا مُش بعيد عن بَعضنَا، ومالناش غير بعض .

يودعه مُهاب ويقول:

- شِد حيلك يا رامى...

ربنا يستر ويطمنك على أختك.

ثم يخرج من المستشفى، ويستقل سيارته... مُقررًا العودة إلى المنزل وليس المكتب.

تأخذه الذكريات ثانيةً...

ثم مايلبث أن يُزيحها عن رأسه متنفِسًا الصعداء بعد هذا الموقف الصعب والذى مرّ بسلام.

و يحمد الله على كُل شيء، فالله عز وجل فى عُلاه قد رتب كُل شيء.

بدءًا من علاقته برامى التى لم تنقطع... وانتقال رامى للسكن هو الأخر بالقاهرة... فارًا هو الآخر من فضيحة «هناء» وكذلك السّكن بالقرب منه.

كل هذا قد كان له بالغ الأثر اليوم فى ألا يتعرض هو وأولاده لهزة نفسية عنيفة ظل يتحاشاها كُل هذا العُمر الذى مضى.

٢٤
ماشى بنور الله...

علي الرغم من أن فصول آلام الصمت الطويلة أبت أن تبوح وأسكنت كُل الكلام في عيون بريئة؛ وما تمنت سوى أن تطبطب عليها أكفّ الأيام، وتطيب خواطرها،

لكِن يبدو أنها كانت تبيت وتصحو على حلم زائف...

ظَل منذ البدايات الملونة بوشوشات أمل كاذب.

حتى أنه لم يتوار خجلًا حين كان يراوغ العمر، ولم يعترف أنه كان يوما ما غليظ الطبع... قاسى القلب... وهو يستدرجه شيئاً فشيئاً إلى هوة سحيقة.

هذا ما جال بخاطر مُهاب وهو يُمعن النظر فى أطياف الذكريات المريرة التى كُلما هرب منها فى تِلْك السويعات البسيطة، داهمته بعُنف، ولطمته على وجهه عدة مرات كلما ظنّ أنه قد أسدل عليها ستائر النسيان.

لكنه سُرعَان ما يفيق من يأسه، ويتمسك بالأمل والدعاء، وكله يقين أن رحمة السماء واسعة، وأن تدابير الله لها شأن أخر.

فإرادة الله كان لها فى هذه الليلة، وكل ليالى عُمره السابقة الكلمة العُليا.

ثم يدير بالسيارة «السى دى» الذى كانت أهدته إياه سوزى فيبعث روحه من جديد مع تلك الكلمات التى تطيب النفس من مآسى الدنيا.

ماشي بنور الله...
ماشي
ماشي بنور الله...
ادعى وأقول يا رب...
تبارك لى فى عيالى
وف صحتى... ومالى
وف كل أعمالى
أسعى لما ترضاه
ماشي... ماشي
ماشي بنور الله
منك يارب الهدى

والمعصية منى...
يارب
ولا ليا عنك غنى
وانت ف غنى عنى
يارب
نورك لروحى دليل
والحب ليا سبيل
ولا عمر شمسه تميل
اللى قصد مولاه
ماشي ماشى
ماشى بنور الله.

يفتح باب شقته، وهو يحاول ألا يكون مخذول الوجدان... بعدما تحصّن بوصْل الله.

ثم يدخل حُجرة نومه لأخذ حمام دافىء، كى يُزيل هذا الهَم تمامًا والذى وطء كتفيه هذه الليلة، مُنذ أن وطأت أقدام «هناء»مكتبه ما أن أنهى الدُش الدافئ، وارتدى ملابسه... حتى خرج مُسرعًا على صوت دقات الهاتف.

لينظر فى شاشة الموبايل...

فيجد رقم حمزة.
وقبل أن يرد بصوت مُنهَك...
يلوم نفسه قائلا:
– يااااه نسيت أكلم حمزة، واطمنه عليا.
حمزة:
– أيوه يابابا
طمنى عليك
عملت إيه، و أنت فين؟!
مهاب:
– أنا فى البيت، الحمد لله.
أطمن كُل شيء تمام.
والمدام الحمد لله أهلها وصلوا بسرعة.
بعد ما كلمتهم على طول.
وكانوا ناس مُتفهمِين والحمد لله.
وتولوا الحالة مع أدارة المستشفى.
حمزة: وحضرتك يا بابا؟ مفيش مُشكلة عليك؟
أنا كنت قلقان جدًا لأى حد من أهلها يدخلك فى مُشكلة.
وفكرت أتصل بخالد بس ما حبيتش أعمل قلق.

لأن أنا عارف حضرتك ما بتحبش تزعجه.

مُهاب :

- يا حبيبي كُلِّه تمام.

وفعلا لو كنت محتاجكم أكيد كنت هاتصل بيكم.

لكن الحمد لله الموضوع كُلِّه عدىّ على خير.

حمزة: الحمد لله يا حبيبى.

مُهاب: الحمد لله خير.

خلصت شغلك؟

حمزة: أيوه الحمد لله... خلاص

هاقفل المكتب، وجاي على طول

محتاج حاجة؟

مُهاب: محتاج سلامتك يا حبيبى.

حمزة: أوكى.

يُنهى مُهاب المكالمة، ثم يتصل بأخى هناء للاطمئنان.

فيُخبره أن الحالة فِعلاً حَرجة، وهو يُفكِّر بجدية فى استدعاء زوجها.

فيخبره مُهاب... أنه يجب عليه الاتصال به على الفور.

يُغلق «رامى»التليفون مع «مُهاب»

ويقوم على الفور بالاتصال بزوج «هناء»بالإسكندرية.

ويُخبره بأنه قد حدثت لها جلطة مُفاجئة.

فيرُد عليه الزوج بمُنتهى السلبية، ومن قبل أن يطمئن عليها وبعصبية ل اتُحتمل، وصوت مُرتفع.

يقول أنه حذرها من السفر للقاهرة...

– لكنها أصرّت أن تزورك وأنها كانت قد تعرضت لجلطة العام الماضى... و قد نجت منها بأعجوبة... وأنها هى المتسببة فى كُل هذا.

ثم قال بمُنتهى العصبية وكأنه أراد أن يُغلق الهاتف فى وجه «رامى»:

– دى ست ما بتريحش نفسها.

فرد عليه رامى هو الآخر بمُنتهى القرف:

– عموماً أنا با بلغك...

عايز تيجى أهلا وسهلا.

مُش عايز براحتك.

فى الآخر هى أُختى.

وأنا مسئول عنها.

ثم يُغلق الهاتف قبل أن يعرف رده!

لأنه يعرف أن هذا الرجُل جبان وغير مسئول

٢٥
كيفك أنت...

أكتوبر...
فى بيت سُوزى ...
نهار جديد ...
تتناول قهوتها المعتادة على موسيقى صوت فيروز
كِيفك أنت؟
بتذكر أخر مرة شفتك
سنتا بتذكر وقتا أخر كلمة قلتا
و ما عدت شفتك
و هلق شفتك
كيفك أنت؟
ملا أنت...
بتذكر أخر سهره سهرتا عنا...

وكأنها تشعر بحاله، وتريد أن تطمئن عليه، خاصة بعد ما غاب اتصاله لأيام ... لكنها تخشى، ولا تدرى لماذا؟

لتبقى كما هى مُنذ البدايات البعيدة بنفس الأحاسيس المرهفة وصحبتها الطيبة لأصدقائها الذين ما تخلوا، موسيقاها، وقهوتها وزهور حديقتها.

خائفة أن تصدم مشاعرها ثانيةً...

لتسرقها الأحزان مرة أخرى فهى قدرَ ما عانت من عدم التقدير قبل ذلك من رفيق، قدر ما أعانتها هذه المشاعر على تقبُل تقلبات قسوة الأيام وعلمتها الكثير والكثير.

تنظر للطاولة التى كان عليها صورته بعدما أبعدتها عن المكان ووارتها فى خزينة الذكريات المؤلمة، تعاتبه، وتتمنى أن يكون هذا هو العتاب الأخير.

فهى كما قالتها منذ سنوات قد سامحته، إلا أن أخر حكاياه عندما زارتها ميرال كانت مؤسفة، فتدوّن على سطور العمر ما لن يراه غيرها تعاتبه.

وتقول: «رغم أن كثير... كثير من الأشياء قد تغيّر ، وتبدّل!
فقد ماتت أوجاع كثيرة معك.

وها أنا ذَا... كما أنا.

هائمةً في دروب السعي وحدى...

أطرق أبواب هدوء كم تمنيت تحققه معك...

لكنه كان عَصيًا مثلك!

فاستحال قدومه في ظل وجودك.

نعم وجودك الذي صَحب أيامي إلى صخب دائم!

يستحيل معه تحقق ما أتمناه من راحة بال.

والغريب أنه منذ أول أيام عِشرتى معك، أدركت أنها ستكون عِشرة صعبة، بل وتكاد أن تكون مُستحيلة بحكم العقل والمنطق ولكنها قد تمتد لآخر العُمر قهرًا بحكم الموروث العفن! فالطلاق...عيب كبير، وذنب لا يُغتفر في حق أى امرأة، تعيش بمجتمعات، غارقٌ معظمُها في براثن محكمة الغطاء علي الكثير من الخطايا والذنوب.

وها أنا ذَا أُكمل أيامي كما المعتاد...

وحيدة...

ولا أشتكى وحدتى...

وحيدة كما أنا...

وأنت كما أنت...

لم تقلق يومًا على...

ولا داعي لأن تقلق مُطلقًا...

لا أقصد أن تقلق عليّ بالمعنى الغارق فى الحنان

فأنت لا تقلق علي أحد...

أقصد... ألا أقلق ثباتك العميق بغيرتك التافهة من هواياتى الصغيرة التى مازالت تشاركنى الحياة.

نعم أنا، وتلك الهوايات كما عرفتنا، وكما تركتنا...

وكأنه لم يتغير شيء!

مازلت معها أواريك جانبًا بعيدًا عن دقات قلبى البرىء، وأعيش يومى بفطرتى التي جُبلت عليها.

وهي حُب كل ما هو حى...

غيرك أنا...

لا أعرف الجمود.

غيرك أنا...

أحب الصبر الذى كان يضيق صدرك به.

أعلم أن الصبر من أجمل عطاءات الله.

هو المعين، والملآذ الذى عَزّز رقّةً بالقلب ما فارقتهُ أبدًا.

فما قَسى قلبى حتى على من جَفا وقَسىَ».

تترك القلم وأوراقها لتغرق فى كلمات الرائعة فيروز وتذوب مع رائحة وطعم القهوة لتصير بالنهايات «سُوزى»هى «سُوزى» التى لا تُغيرها الأيام، ولا الليالى .

إذ كانت كُل لحظات ضعف رفيق ومرضه لا تُنقص من صَبرهَا أبدًا.

بل كانت خير دليل على ما ملأ قلبهَا من خير.

فَلم تَكُن تنتظر مِنْهُ أى شيء لا أثناء قوته وثرائه، ولا بعد مَوته.

هى ظَلت لا تُرِيد سوىَ أن تَصِل بالبنات لبَر الأمان، مُكمِلةً رسالتها مَعَهُن على خير.

أما ما سيكون بعد ذلك لم تُخطط له على الإطلاق...

فَهى حين التقَت» مُهاب « لم يستوقفها سوى هذا الشعور الذى ما زارها يومًا ما قبلًا.

فَأيقنت أن هذه المشاعِر هى الحُب الحقيقى الذى يُمكن أن يزورنا وقتما شاء هو، لا وقتما بحثنا عنه نحن.

تدور فى شقتها وحدها، وما زال فنجان القهوة فى يديها تخرج للحديقة وتتوقف غير مُصدقة عيناها أن السماء تُمطر فَرجًا... وها

هى فَرِحَة مُتشوقة لهذا المطر الذى بدأ يتساقط رويدًا... رويدًا على وجهها.

ليأتيها زائر عزيز قد أطال البعاد وأطالت هى المكوث على جنبات قحط الحكايا بانتظاره.

تنظُر لزخّات المطر، وكأن السماء تُمطر أمنيات، فتتطلع إلى السماء تدعوا...وتروى قلبها بدموع عينيها ...

مُتمنية أن تتقبل السماء دعواتها،

وأن تتساقط رسائل المحبة من السماء وتملأ القلوب .

تقطع عليها خيالها «سُعاد»، عاملة المنزل وتُحضر لها الموبايل.

إنه مُهاب يُرِيد أن يراها، اليوم سيزورها بطنطا

تُرحب به... بعدما أخبرها أنه سيتواجد بالسابعة ... فتخبره أنها بانتظاره. تنظُر من بعيد وكأنها تطُل الآن على الدنيا من عينيه، فترى وجهها قد أطلت إشراقته الجديدة، ونامت ملامحها فى أحداق عينيه، لتتلحف بهما وبالباقى من عُمْر الأيام.

ثم ترجوهم االتمهل... وكأنها تستحلف الزمن بِكُل غالى وعزيز أن يتمهّل.

تذهب لغرفتها لتتخير أىّ رداءٍ سترتديه بما يناسب اللقاء تتوقف

للحظة... يخطفها القلق من مواقف كثيرة، ربما يتعرضان لها رغم كُل ما يوحى بأنه لا شيء يمنع أن يكُون بينهم استقرار... ينعمان فيه بهناوة أيام حُرمَا منها كثيرا... ولرُبما تغفر كثيراً لِمَا مَضى بما هو آت.

تفكر بالبنات، وكيف ستكون ردة فعلهم ... هل سيرحبون أم سيكون لهم موقف أخر؟!

تبعد عنها هذه الأفكار، التى ستأخذ من وقت سعادتها الذى قررت ألا تفرط فيه أبدًا .

لتستقر علي هذا الرداء من القطيفة الناعمة البيج التى تُناسب خريف ذاهب، ودقات أمطار شتاء آتية تَدُق على أبواب القلب على رواء.

وسوف تُداعب بعد قليل هذا الإيشارب الحريرى البيج الذى يشعرها بأنه كم تمرغ على رمل البحر، يرجوه الأمان .

دقات السابعة مساءً ...

قبلما يدق قلق الانتظار على باب القلب ...تُجيبها دقات الموبايل أن «مُهاب «قد أتى.

وبالفعل يأتيها صوته الدافء، يطبطب على رعشة بالقلب البرىء ويطمئنه.

مُهاب: مساء الخير يا سُوزى.

سُوزى: مساء الخير... حمد الله على سلامتك يا مُهاب.

– الله يسلمك ...من فضلك أوصفيلى عنوان البيت، وهاكون بانتظارك فى العربية، نقعد فى مكان تختاريه.

ثم يقول أنتِ صاحبة البلد، وأنا الضيف الغريب .

سُوزى: ماتقلش كده ...

أنتَ صاحب مكان أينما كنت مُهاب.

مُهاب: ميرسى ياسُوزى من ذوقك.

سُوزى ينتابها خجل تسلل صوتها

وتصف له عنوانها على عَجل كَى لا يصله خجلها.

مهاب: نص ساعة وأكون تحت العمارة...

هاكلمك أول لما أوصل.

تمضى النصف ساعة، والتى قضاها مُهاب فى شراء الورد ثم الوصول لبيتها ليتصل عليها .

فتنزل إليه... ليستقلا السيارة وينطلقا.

٢٦
لغةُ الكلامِ كمَا رأيتَ

على َفمِي خَجْلىْ...

ولولا الحُبُّ لم أتكلم.

بالمقعد الملاصق له تجلس سَاكِنَة هادئة خاوية الوفاض من كُل ما مضىَ، إلاّه.

يسكُن هو فى حُضن صَمتها المدلل بالهوى...

لا يمتلك أن يُهديها فى تِلْك اللحظة الفَرِحة بلقياها شيء، فَكُل الأشياء لن تكفى.

صامت هو...

رُبما تاهت منه كُل الكلمات المعبرة عن صدق هذه المشاعر لها... لكنه فى ذات الوقت لا يدرى أنه قدّم لها كُل ما تمنّت...

فقد مُلئت هى به واكتفت.

إنه بالفِعل يحتويها فى كُل لقاء يُقدم لها صدقَ مشاعِره دونما

ضجيج، وهذا هو كُل ما تحتاجه.

يكفيها أنه غزل من كل شعائر وطقوس الحُب ورورداً أتىَ ليُهديها إياها.

وبإحساسه البليغ دونما كلمات هاهو يَصِل إليها من مُجرد لمسة ليدها.

يَنظر بالطريق الذى أمامه وهو يقود السيارة.

ولا صوت غير صوت موسيقى حالمة تنبعِث من السيارة .

يَتمَلمل فى رقة أنامِلها النائمة فى هدوء، ويحنو عليها.

فيُطمئنها وهو يُلملم بيده أناملها المتراقصة فى هدوء على ذات المقعد الجالسة عليه بجواره.

ومابين لهفة ورعشة قلبها البريء، مازال يحتويها ويربّت علي يَدها فى حِنوِ.

فيأخذها إلى دنيا غير هذه الدنيا التى تجمعهم بِكُل هؤلاء البشر المتقابلين معهم على ذات الطريق وكأنهَا فرغت منهم فى هذه اللحظات.

ثم يهمس بدفءٍ اعتادته معه كلما تفرقَا، والتقيا...

فتسكُن روحها على ضفاف عينيه وتهدأ.

وهاهو يعود فى هذا المساء الهادئ وسط مساءات الخريف المرتعشة لينثُر دفئه حولها نسمات من حياة.

بكلمة واحدة تُلملم مفردات كل العاشقين...

عِشق خالص لها...

ويقول بدفء همساته:

«وحشتيني»

لتصمت كل حروف الكلمات على شفتيها، وتترنح لغتها البليغة، التى كم صالت وجالت بها فى ساحات القضاء.

لكن الآن كل الكلمات لها شأن آخر... فإن لقدر العاشقين قولٌ فَصلٌ أمام تلك الكلمات التى تفر من قلوبهم، لترفع رايات الاستسلام... فلا مرافعات، ولا مُداولات لهذا العِشْق الذى سَكن بحب، وسَجن بحُرية.

يَرى وجهها فى المرآة وقد رَدّت عليه عينيها بما يُطمئنه وأكثر، ليتيقّن «مُهاب»أنها تُبادله مشاعره .

وقد بدا أنه قد تلاشَت كُل الأشياء من حولهما... فلا هى تَدله على المكان الذى سيجلسان فيه لتناول العشاء، ولا هو يسأل.

وكأنهما فى روعة حضور العشق... صار هذا الطريق الذي يسيران

فيه معا مفتوح أمامهما.

وغدت هى وكأنها هذا الزائر الغريب الذى يرى هذه المدينة لأول مرة... بعد أن محا ونس هذه اللحظات... كل الأماكن، وَكُل الناس.

مُهاب ناظِرًا إليها فى وِد يلتحف بشوق السنوات.

ويقول: أيه رأيك...

كفيانا سكوت؟

سُوزى تبتسم...

فيستشعر من ابتسامتها أن هذا الجليد البارد الذى كان يراه ماكثًا على وجهه لسنوات طويلة، قد اختفى تمامًا الآن وهو ينظُر لوجهه بمرآة السيارة... ويحل محلُه نسيم يداعب وجه مساءهم الحالم.

مُهاب: كُل شىء هايكون من اختيارك...

من أول المكان، وانتهاء بالعشا.

وقبل أن ترُد عليه، يُسعدها ويرتجل حلو الكلام

ويقول:

فى حضرة أصحاب الديار لا نملك أى خيار.

سُوزى تبتسم وتقول: سمعاً وطاعة حضرة الزائر العزيز للديار.

مُهاب:

– ممكن أطمع فى كرم سيدتى الجميلة وأكون أكتر من «ضيف عزيز».

سُوزى تدارى خَجلها فى ضحكات هادئة مرحبة وموحِية...لأن يصير الضيف العزيز صاحب الديار.

وتقول: ممكن نُقف هنا.

أيه رأيك؟

ده أجمل مكان فى طنطا.

مُهاب: الله عليكى مسجد السيد البدوى.

سُوزى: مفاجأة.

مُهاب: حلوة جداً.

سُوزى: وأحلى ما فيها أنها من ترتيب القَدر

مُهاب: ونعم بالله

ثُم ينزل من سيارته ليفتح لها الباب.و يمسك بيدها، ودون أن يشعر يُقبلها على الملأ.

تَخجل سُوزى أيّما خَجَل.

وتقول: مُهاب أحنا فى وسط الناس.

مُهاب: أنا عارف أكيد أننا فى وسط الناس... لكن إحساسى هو المتحكم...

يمكن أكون عايز الناس والدنيا كلها تشهد أنى «بحبك».

يمكن أكون عايز ربنا يكون شاهد عليا أنى فعلا باتمنى أكمل حياتى معاكى.

سُوزى وكأن الدنيا تلف بها وتدور، وتحملها فى شالها الذى كانت وضعته على كتفيها لتستدفئ به...

شالها ذو الورود الملونة بألوان البحر، هاهو يدثرها بحلو اللحظات معه ويطير بها... ليهدي إليها لألوان السما السبعة.

فتتزيّن لها النجوم، والمجرات مُصطحبة جميع الكواكب معهم... لتصير الدُّنيّا فى لحظات خاطفة ملك يديها وكأنها كانت على وعد بأن تلوّن الأيام بكل هذه البهجة لاستقبالهم.

مُهاب ينبهِر بها وهى فى روعة حضور الملكوت.

ينظر لوجهها فيراه وكأنه تنزلت عليه ملائكة السماء، فصافحته وطيبّت خاطر اللحظات.

ثم صعدت ثانيةً إلى السماء.

فبدا وجهها يزداد جمالًا، حتى صار كالبدر فى ليل تمامه...

ثم يسألها فى انبهار يساوره دهشة إعجاب فوق ما كان لديه من أعجاب بها.

ويقول: رُوحتى منى فين؟!

سُوزى: أبدًا.

يالا ندخُل نزور المقام.

مُهاب مُمسكًا بيدهَا، يخشي أن تضيع منه ثانية.

نعم يخشى... ولِمَ لا يخشى!

أليست «سُوزى» هى كُل ما تمنى من هذه الدُّنيّا؟

وها هى ذي أقبلَت، وأَتت فى لحظة استجابت له فيها السماء الدعاء

تسير معه فى نعومة بالِغة كطفلة صغيرة يخاف عليها أبيها أن تتوه منه وسط الزحام... وعلى الرغم من أنهما وسط الناس إلا أنهما يسيران مُحلقان فى السماء سُعداء بهذه الأجواء... وهذه الطاقة الإيمانية العالية، التى تبعثها من حولهم هذه المناجاة فى حُب الله بالأناشيد والتراتيل الصوفية.

فيستمعان إلى هذا المنشد وهو ينشد الكلمات فى حُب ونور الله ورسوله الكريم.

فيقول:

سيدي يا رسول الله...
لغةُ الكلام كمَا رأيتَ
على فمِي خَجْلىْ...
ولولا الحُبُّ لم أتكلم
يا مَظهَرَ التوحِيدْ...حَسْبِيْ أنيْ
أحَدُ الشُدَاةِ الهَائِمِينَ الحُوَّم
ما حِيلة الشعراءِ زادَ غِنائهُمْ رَهَباً
لدى هذا الجلالِ الأعظمِ
إن الذي سَوَّاكَ في قرآنِهِ
وَفاكَ وصفاً بالثناءِ الأكرمِ
يا نورُ يَومَ وُلِدْتَ
قامَتْ عِزَّةٌ للأرض
إذ أمْسَت لِنورِكَ تنتم

تنتهى التواشيح الدينية، ويصلون على النبى الكريم.

اللهم صلي وسلم وبارك علي سيدنا محمد

يتوضآن بالمسجد... ويؤديان صلاة العشاء

ثم يتجولان عند الباعة... يَأْكُلان الحلوىَ

ويستمتعان بمذاقها الشهي

وكأنهما قد صارا طفليْن لا يريدّان أن تنتهى قطع الحلوى التى بأيديهم، وَأن يظلّا سَوياً، ولا يبغيّان العودة!

تنتهى زيارة مسجد السيد البدوى، وهم لايزالان مُمسكان بأيدى بعضهما.

ثم يستقلان السيارة..

مُهاب: أيه رأيك أنا ما مصدق نفسي أنك قاعدة جنبى...وأننا فى طنطا.

سُوزى: لا.. صدّق.

لأنى مصدقك يا مُهاب.

يصمت مُهاب وتصمت هي...

ثم تكتشف أن الوقت سيتأخر بها فتكسر هى بالكلمات هذا الصمت الجميل.

سُوزى: الوقت جرى بينا بسُرعة.

مُهاب: الأوقات الحلوة بتعدى بسُرعة.

ممكن تختارى مكان نتعشىَ فيه سوا.

سُوزى: أوكى.

مُهاب...ما تتخيليش أد أيه كُنت محتاج الزيارة دى!

سُوزى: فعلاً زيارة مسجد السيد البدوى..

بتفرق معايا أنا كمان كتير .

مهاب: هو فى الحقيقة أنا قصدت لما قررت فى لحظة معينة أنى أزورك أنتِ...

محتاجك جدا...

والحمد لله أنى جيت وشُفتك

وربنا أكرمنا بزيارة المقام

بجد...

مُجرد أنى أكون معاكى...

بتفرق معايا فى حاجات كتير...

وكمان القدر بيبارِك قرارى...

ونقضى مع بعض الوقت الممتع...

والمِلهِم ده... بجد أنا سعيد...

ربنا مايحرمني مِنْك

سُوزى: ميرسى جداً يا مُهاب على الوقت اللطيف ده.

مُهاب: أحنا جيرة، وعِشرة طيبة، وأصدقاء يعنى أهل.

مفيش بينا ميرسيِ، ولا الرسميات أم دم تقيل.

سُوزى: هههههه يعنى أنا كلامى دَمُه تقيل.

خلاص... خلصت...

مفيش عشا...هههههه...

مُهاب.مُمسِكًا بيدهَا

لاااا... هههه... آسِف... أسِف جداً

ده أنا ما صدقت أننا مع بعض

وفعلاً كُل أوقاتنا مع بعض

مُلهمة جداً بالنسبة لى بفكرة واحدة

أننا لازم نكون مع بعض على طول.

تستقبل سُوزى كلماته بفرحة لا تخلو من الحياء، وكأنها صارت هذه الفتاة الصغيرة التى يُصارحها ابن الجيران بحبه، ورغبته فى الارتباط بها.

سُوزى: تَفيق وتستوقفه عند مطعم صغير على جانب شارع هادئ جدًا.

وتقول: مُهاب...وصلنا.

مُهاب: يا سلام أحلى مُرشد سياحى فى الدنيآ.

يدخلان لمطعم العشاء...

وقد نزلت عليهما من السماء غيمة من هواء منعش هادىء أنعشت صفوهذه الليلة.

مُهاب: تحبى نتعشى أيه؟!

أنا هاموت من الجوع

سُوزى: نختار عشا خفيف.

يتخيران بالفِعل عشاءً خفيفًا...

وعلى ضوء الشموع، وأصوات الموسيقى الهادئة يتناولان عشائهما.

ينظُر إليها مُهاب نظرات دافئِة تشيِ بما يحمله فى قلبه من حُب كبير لها فيخطفها معه لبراح راحة البال.

فيستمتع بهذه الليلة التى أزاحت غيوم الليالى السابقة.

وهو ما لم يُرِد أن يَحكي لها عنه كى لا يُزعجها بهمومه.

إنها «سُوزى» تِلْك الزهرة الندية التى اختطفها من مكانها وزرعها بقلبه... فأزهرت ورودًا، يُطيّب شذاها ما يُوجعهُ.

تشعُر هى أن به شيئًا، فتنتظر حتى يُنهيان عشائهما، ويتناولان مشروبًا باردًا.

ثم تَنظُر لعينيه نظرة حانية... حالمة، تحملهما على جناح من وِد يُطيب خَاطِر لياليهُم.

وتقول: أنا حاسة بنظرة غريبة فى عينيك بالرغم من أنك بتحاول تبان سعيد.

مُهاب يتنهد فى هدوء، ثم يُمسِك بالولاعة ويلتقط سيجارة من علبة سجائره الموضوعة على الطاولة... ليُشعلها مُحاولاً أن ينفُث فيها ما حَدث له بالأمس كَى يتفادى إشعَال حرائق الذكرَى من جديد.

لكنه رغماً عنه... تفِر منه لوعَة عَبر أنفاسه كادت أن تُشعِل رماد الذكريات الأليمة مع زوجته السابقة «هناء».

والتى ما زار طَيف ذكرياته معها أَى رائحة لهذا الهناء الذى يزوره مع سُوزى.

وهذا ما تلمّح به إيماءات شَجن... سَكن الآن ملامحهُ الحزينة.

فيرُد عليها: وإحساسك ده فى محلُه...

سُوزى: فى أيه يا مُهاب قلقتنى عليك.

مُهاب: لا أبدًا بس أنا مُش عاجبنى حالى!

سُوزى: من ناحية أيه ؟

مُهاب: حسّيت أنى قسيت أوى على «هناء»

لما حرمتها من ولادها... وحرمتهم منها.

سُوزى: هو فيه حاجة جديدة حصلت.

يَسرد لها «مُهاب» كُل ما حَدث

ويطلب منها المشورة فيما حَدث... وماذا يفعل؟!

سُوزى بعدما استمعت لِمَا حَدث، تأثّرت جدًا للوضع الذى وضعته الأقدار فيه مع أم أولاده، فَهى مُتأكدة بما لا يدع عندها أى مجال للشك أن «مُهاب» كان مُضطرًا لأن يهرب بأولاده بعدما تنازلت هى عن رؤيتهم بإرادتها، وحين لم تحاول أن تسأل عنهم، أو تحاول رؤيتهم، وانغمست فى أنانيتها المفرطة بعد زواجها من شريكها فى قضية الرشوة وانشغالها بمشاريعها معه، ولهاثها الدائم وراء المال وإزاحة كُل من يقف فى طريق ذلك حتى لو كانوا أولادها.

سوزى: «مُهاب»من فضلك ما تحملش نفسك فوق طاقتها... انت عملت اللى عليك وأكتر، وحافظت على صلة الأرحَام وما حرمتش خالهم منهم، والخال والد، أما بخصوصها فَهى ربنا يتولاها، ولو قامت بالسلامة... ممكن أولادها يشوفوها،

مفيش مشكلة خالص... وعفا الله عما سَلف، والسنين بتداوى وتنسِى كُل شيء،

ومفيش داعى الولاد يعرفوا تفاصيل عنكم ما لهاش لزوم، وماعتقدش هما هايسألوا عن شيء أنت مفهمهم من البداية اللى أنت حابب أنهم يفهموه... وَكُل ده مفهوم طبعاً عشان مصلحتهم، وهما كبروا ومشغولين بحياتهم.. وصحيح ما حدش بيستغنى عن أمه وأبوه، لكن أهم حاجة أنكم تكونوا طبيعيين قصادهم... لو قامت بالسلامة وجمعكم مكان.

مُهاب: ماعتقدتش أنها هاتقوم من الجلطة يا سُوزى أخوها بيقولى أنها جلطة مُتكررة والمرة دى غير أى مرة.

سُوزى: عموماً ماتسبقش الأحداث واللي فيه الخير للجميع يقدمه ربنا

مُهاب: يااااه أنتى شيلتى معايا هَم كبير كان على كتافى.

سُوزى: كُل شيء وله حَل يامُهاب خلى حمولك على الله.

مُهاب: ونعم بالله.

سُوزى: نقوم... الوقت أتأخر.

مُهاب: أسف أنى آخرتك.

سُوزى: لا أبدا... كان وقت جميل فعلا.

يستقلان السيارة للعودة لمنزل «سُوزى».

ثم يقول لها أنه سيبيت فى أوتيل كان قد حجز للمبيت فيه قبل أن يصل طنطا،

تهدأ أحاسيسهما على صوت موسيقى الرحبانية...

ويعاود مُهاب شُكرها على هذه الأمسية الرائعة، ويُقبل يدها فيبعثرها ويلملمها فى لحظة واحدة على ضفاف محبته وحنانه...

ثم يقول: بس فيه طلب أخير.

سُوزى: تنظر إليه بعين المرأة المحبة الحنونة...

وتقول: خير يا مُهاب.

مُهاب: طبعًا خير بإذن الله...

أولاً أنا كنت جاى من القاهرة عشان الموضوع ده وما كنتش ناوى أفتح موضوع «هناء»، لكن قلبى دايمًا هو اللى بيتكلم معاكى... فكان لازم يفضفضلك ويرتاح...عشان يعرف يكلمك فى الموضوع الأساسِ.

سُوزى لا تندهش لأنها كان يسبقها شعور بما سيقول.

مُهاب: أحنا لازم نهيأ الظروف ونتكلم مع الولاد عشان نرتب ميعاد جوازنا.

سُوزى تضحك، لتُلطف معاناته التى كان يحكى عنها مُنذ قليل، والتى تُقدرها وتشعُر بها. وتقول:

- وليه لازم؟!

مُهاب يظهر على وجهه خجل برىء...

ويقول فى تلعثم:

- لا ما قصدتش والله...

سُوزى: هههههههههه مفهوم... مفهوم...

مُهاب: هههههههههه ماشي... ماشي... بتكلم جد... ممكن تاخدى رأى البنات، وأنا هاتكلم مع الولاد عندى ونحدد ميعاد بأذن الله

سُوزى تضحك، بعدما وصلآ إلى منزلها،وتقول:

- كُل ترتيباتك دى على أساس أنى موافقة...

مُهاب: وبعدين معاكى... هههههههه

سُوزى: هههههه... تصبح عَلى خير

ينزل مُهاب من سيارته ليفتح لها باب السيارة ويودعها بحنانه المعهود على أمل لقائهما غدًا ليتناولان إفطارهما سَويًا قبل أن يعود للقاهرة.

قبل أن تغفو عيون «سُوزى»على سعادة هذه الليلة التى جمعتها»بمُهاب» بعدمَا دخلت غرفة نومهَا وتأهبت للنوم...

تسترجع كُل اللحظَات التى كانت بها معه... لتغفو على أحلى ما فيها... مُطمئنة أنها أخيرًا، وجدت ميناء سلام ترسو عليه سفينة حياتها من بعد طول عناء.

وكذلك كان حَال مُهاب... فهو لأول مرة مُنذ سنوات طوال غاب عن لياليها القمر...

يَشْعُر أنه أخيرًا سيبيت ليلته مرتاح، ويهنأ بأحلام سعيدة.

إشراق صباح جديد...

تفتح «سُعاد»الباب لتجد كُل ما فى المنزل مازال يَنعَس فى هدوء... ويُوحَى بأن «سُوزى»لم تَزل نائمة... فَتفتح النوافذ المطلة على الحديقة وتقوم بأعمالها اليومية المعتادة... تصحُو «سُوزى» مُسرعة... وكأنه هناك شيئًا يجرى ورائها كَعادتها طيلة سنوات وسنوات، فتتوقف للحظات قبلما تتعَدى خطوات قدميها غرفة نومهَا لتقف أمام المرآة...

تَضحك وتقول:

- أنا بجرى ورا نفسي ليه؟

تَنظُر لقدميها ضاحكة وتقول:

- كفياكى جرى يا سُوزى... تعبتى!

ثم تَنظُر إلى وجهها وتمسح على عينيها، وتأخذ رباط شعرها الساتان الملون بلون القرح الذى تأمل قدومه لتلُف به شعرها، ثم تدخل الحمام وتأخذ الشاور المعتاد... تخرج لترتدي بنطالًا من القطن باللون الأزرق وتى شيرت أبيض، وتتجول بالمنزل

وتُهدى «سعاد» من وورود حديقتها صباحات سعيدة، وتدخُّل المطبخ لإعداد القهوة لنفسها تاركة سعاد تُكمل تنظيف المنزل، ثم تطلب مُهاب لتطمئن عليه... فيُخبرها أنه قادم إليها ليتناولا إ فطارهما سَويًا.

وبالفعِل يتناولان إفطارًا مكّونًا من البيض المقلى بالسمن البلدى والفول المدمس بزيت الزيتون، والجبن الأبيض، والزيتون، والفطير المشلتت، وأطباق صغيرة من القشطة والعسل الأبيض، فى أحد مطاعم طنطا المخصصة لطعام المسافرين مابين بعض المدن المجاورة أو تِلْك المدن البعيدة بعض الشيء عن طنطا، وهو ما يعرف بمنطقة «الرِست» المشهورة فى مدينة طنطا.

تضحك سُوزى وتقول:

على فكرة يا مُهاب

ده مُش فطار!

ده دمار!

مُهاب: هههههههه

بجد حاجة تُحفة...

أنا من حلاوة الأكل والوجه الحسَن مُش عارف أشبع.

سُوزى: هههههههه

أنت مفيش فايدة فيك!

مُهاب: يعنى عايزانى أكدب عليكى

يُنهيان إفطارهما... ويتناولان الشاى...

ثم ينظُر فى عينيها ليجد نفسه التائهة وقد رُدّت إليه...

يتحادثان فى كُل أمورهم بوِد وإخلاص...

هذا الوِد والإخلاص الذى افتقداه كثيرًا قبلما تجمعهُم مرة أخرى الأيام، والذى يتضّح جدًا ويظهر جليًا بينهما فى كُل تفصيلة قد تأخذهم هنا أو هناك، فينتقلان من موضوع إلى أخر ما بين صِدق المشاعِر، وحلو الكلام...

يخرجان من المطعم... يستقلان سيارة «مُهاب»... فيعود بها لمنزلها، ثم يُودعها بحرارة بالغِة... عائدًا لمنزله بالقاهرة، وكأنه قد ترك روحه بطنطا، على أمل أن يلتقيَا فى الأسبوع القادم للترتيب للزواج، فترُد له الدنيا حينهَا روحَهُ... وتُقبل عليه الحياة بمنتهَى أملُه، وبأحلى ما فيها... سُوزى.

٢٧
سيرة الحُب...

مساءً يصل «مُهاب» لمنزله بالقاهرة، بعدمَا أجرى عِدّة اتصالآت تليفونية بأولاده وهو فى الطريق للاطمئنان عليهم، وكذلك خآل الأولاد للاطمئنان عليه، وعلى زوجته السابقة «هناء»، ليُخبره «رامى» أن جميع الأطباء أجمعوا على أن الحالة غيبوبة كاملة، وهو ما يُسمّى بالموت السريري، وطلب منه أن يُسامحَها ويدعوا لها، فرّد عليه «مُهاب» أنه فعلاً قد سامحها، ودعا الله من كُل قلبه أن يكتُب لها الخير ...

وقبل أن يُنهى المكالمة معه، أبلغَه أنه عند وعَده إذا ما احتاجهُ فى أى شيء، وأنه إلى جانبه فى كُل الأحوال وتم إنهاء المكالمة.

فى منزل سُوزى...

تُودعها «سُعاد»عاملة المنزل بعدما طلبت منها «سُوزى»أن

تعود إلى بيتها من أجل زوجها المريض، فقد مرض زوجها وقريبها الذى كانت قد أملت فيه خير بأنه سيعوضها عن زيجتها الفاشلة الأولى... ولكنه ما كان، لكنه بالأخير أبا ابنها وقريبها، وزوجها وواجب عليها كسيدة أصيلة أن تقف بجانبه.

اكتفت «سُوزى»بوجبة الفطور الدّسمة التى تناولتها مع مُهاب، ورُبما تحتاج ليلاً لعشاء خفيف ستحضرهُ لنفسها.

تجلس فى المساء، تُشاهد التلفاز... مُقررة ألا تفتح المكتب تِلْك الليلة، كى تستطيع أن تتواصل مع بناتها وتوضِح لَهُن مدى ما وصلت إليه طبيعة العلاقة بينها، وبين «مُهاب» الأخ الأكبر لجيرانهُم القدامى.

فالبنات تعلمن أن أمهن قد التقت بالأخ الأصغر لعائلة جيرانها من بعد السّنوات التى فرقتهُم فيها طبيعة الأيام، فى فرح «سُهى» لتعود علاقتها بهم، وأكيد سيصبحن سعداء أن أمهم سعدت فى تِلك الأجازة القصيرة التى قضتها معهم بالإسكندرية.

آما سُوزى فأدركت أن القدر كفيل جدًا بأن يرُد إليها ما فرّقتْه الأيام وأتَمَّهُم عوضوها عن قسوة أهلها، وعن حنان والديها الذى افتقدته، بعدما رحبوا بها أيما ترحيب حيثُ أخبرت بناتها آنذاك بِكُل التفاصيل...

تستعِد «سُوزى» لإخبار ابنتهَا الكُبرىَ عن أمر زواجها أولاً وهى فى حالة من التوجُس والحِيرة من ردة فِعل ابنتهَا، وبالفِعل أخبرتهَا، ليتبين لها أن ابنتها «سارة» مُقدِرة تمامًا ما عانته مع والدها، وكذلك «سُهى» كان لهَا نفس رَدة الفعِل الإيجابية، والتى عَبرت بصِدق أن بناتها لا يُردن سوىَ سعادتهَا.

لم تُصدق «سُوزى» أن كُل هذه السعادة التى ستحملهَا لها الأيام القادمة... من نصيبها.

وأن يدِ الزمن أخيرًا... ستمنحهَا الأمان، وتَحِن عليها، وتتحسس لياليها بالحُب والحنان، تستمع فى سهرتها مع أم كلثوم:

سيرة الحُب
وقابلتك أنت
لئيتك بتغير كُل حياتى
ماعرفش ازاى انا حبيتك
ماعرفش ازاى يا حياتي
من همسة حُب لئيتنى بحب
لئيتنى بحب وأدوب فى الحُب
ادوب فى الحُب، وهمس الحُب .

يتصل بها «مُهاب»وهو لا يدرى أنها مع تِلْك الكلمات تذوب فى بحور الحنين إليه.

فتُسمعه الكلمات،علّها تكون أبلغ تعبير عن مدى حبها، واحتياجها إليه، وأنه بالفِعل، وكأنه من اختصته وحدهُ هذه الكلمات حين كُتِبت.

مُهاب: معقولة يا «سُوزى» يكون إحساسك ناحيتى بِكُل الحُب ده

معقولة أكون أنا الإنسان اللى الكلمات دى بتعبر عنه

سُوزى: أكيد يا «مُهاب».

مُهاب: وأنا بإذن الله ربنا يقدرنى وأسعدك...

يلفهم صمت المحبّين...

ثم تُخبره أنها قد أخذت موافقة ومُباركة البنات.

ويسعدها هو بمباركة أولاده أيضاً لزواجهما.

ثم يضحك... ويُذكرها أنه حينما طلب منها مُشاركته فى إعادة ديكور شقته، وأنه سيحتاج للتواصل معها لأن رأيها يهمه، لم يَكُن يُدرك أن السماء قد استجابت لدعوات قلبه بأن تكون إلى جانبه بالقاهرة، وتختار هى بنفسها كُل شيء.

تضحك «سُوزى» وتقول:

– بإذن الله، كُل شيء هايكون زى ما تمنيت

يتفقان على أن يتواجدا معاً ما بين القاهرة وطنطا، لمباشرة مكتبها ومكتبه، وأنهما سيصبحان أسرة واحدة لديهما شابان وفتاتان، لتَمُر السنوات عليهما، وتجدهما كما هُما مُنذ اللحظات الأولىَ للقاء، وكمَا تمنت هى وتَرجاها هو من الزمان، وكأنهمَا طفلان يمرحان علي شواطئ بريئة الهوى، وعلي جَناح الأحلام ظلت دعوة اللقاءات بينهما لم تتقبل أبدًا أن تُسكنهُما يومًا أرضٌ...

فكُل بلاد العاشقين لهما أوطان.

يتراءى لك ولأَول وهلة حين تَلمح طَيفهُما في أحلامك، ذاك التآلف الجَلي لملامح الشَكل، والذوبان الكامل في مكنون الروح.

تِلْك الرّوح التى هامت بعيدًا، ثم ما لبثت أن تعود وكثيرًا ما يختطفان اللحظة من فَم الزمان، عَل الأوقات تَحِن وتشتهي شهد رحيق الأيام.

ثم يأخُذانك إلي عالم شبيه بمرافئ مُلونة البحور هادئة الشطآن.

فلا تري في عيونهما سوي ذاك السلام الذي يشي باستسلام كلاهما للآخر، واستسلامهما للأيام...

فيتمرغان في حُضن الأمان...

هُما حالة لا تخضع للتفسيرات والتشنجات ...

هُما لا يحتاجان مُنذ التقيا غير أن يكونا معًا...

هما لا يحتاجان لذلك المجهود المنفِر من الشرح أو التأرجح مابين حيرة رفض أو قبول الأعذار!

لذا تجدهما كالمتصوفين... ذائبين في المعيّة، مُبصرين بقلبيهما أنهما حالة لا ترتبط بقواميس وتوابيت.

إنهما حالة انصهار تام يلف في مدارات تلك المحبة التي ترعاها نواميس الكُون.

وَهُما تلك الحالات النادرة جداً التي تُثبت دون شك أن توأمة الروح هي تلك الحالة الأشبه بمن يعيشون في بعضهما البعض قبل الزمان، والمكان...

إنهما حبيبان...

تـمــت